

الباب الأول
سيكلوجية الدين والتدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ﴿

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٦٩ - ٧١)

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

الدين بين الحقيقة والوهم والاعتقاد

الدين — كما تقول الموسوعات العلمية — هو أعظم خاصية للجنس البشري .. أو هو الفيروس العقلي الذي له خاصية الانتشار الذاتي . وتقول موسوعة الإنكارتا الإلكترونية^١ أن : " **الدين** : هو ارتباط الإنسان بالمقدس الذي يؤدي إلى الاعتقاد في الحقيقة الروحية .. وهو ظاهرة عالمية " لعبت الجزء الهام في كل التراث الإنساني ، وبالتالي فهو أوسع بكثير وأكثر تعقيدا من أن يكون مجموعة من الاعتقادات أو الممارسات الموجودة في أي ديانة تقليدية . والفهم المعقول للدين يجب أن يأخذ في الاعتبار نوعياته المتميزة وأنماطه المختلفة كشكل من الخبرة الإنسانية ."

والجدول الموجود في الملحق الرابع من هذا الكتاب يبين للقارئ عدد أتباع الديانات المختلفة في كل أديان العالم الرئيسية . وعلى الرغم من القيمة الإحصائية لهذا الجدول حول معرفة عدد أتباع ديانات العالم المختلفة إلا أن قيمته الحقيقية تكمن في الشهادة التي يتضمنها هذا الجدول على وجود الفطرة الدينية لدى الإنسان .. وأن البشرية على نحو كامل تعبد إلهها ما بصورة ما أو بأخرى!!!!

وكما نرى من هذا الجدول فإن أكثر من ثلث سكان العالم يدين بالمسيحية (بغض النظر عن طوائفها المختلفة) .. حيث يوجد العدد الأكبر من أتباعها في دول أمريكا اللاتينية وأغلب هذا العدد يتبع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . أما عدد المسلمين فيبلغ حوالي خمس سكان العالم يعيش أغلبهم في أجزاء من قارة آسيا .. وخاصة في منطقة الشرق الأوسط . أما " الديانة اليهودية " فعلى الرغم من أن الغرب يعتبرها من ديانات العالم الرئيسية (على اعتبار أن نصوصها تمثل الجزء الأول من الديانة المسيحية) إلا أن أتباعها أقل من أتباع كل من الديانة

^١ عن : " موسوعة الإنكارتا الإلكترونية : Microsoft Encarta 97, Encyclopedia "

الهندوسية والبوذية .. والديانات الأخرى المتنوعة التي تمارس حاليا في اسيا . أما الملحدون .. واللائريون ومن يعتبرون أنفسهم لا يدينون بدين عالمي رئيسي .. فهم يمثلون حوالي ١٣% فقط من تعداد سكان العالم . وقد بينت في مرجع سابق أن هذه الفئة — في حقيقة الأمر — تمارس طقوسا معينة يمكن أن يدرجها تحت قائمة فئات " التدين المستتر " .

• الفطرة الدينية ..

في الواقع ؛ يمكن تعريف الفطرة : بأنها الخاصية الذاتية للإنسان التي يخرج بها — من المصنع الإلهي — عند ولادته والتي تصاحبه على طول حياته .. مثل : شكله وصفاته و غرائزه كالغريزة الجنسية وغريزة التدين .. وغيرها من الغرائز الأخرى . ومثل هذا الأمر يشبهه — تماما — شكل وصفات .. وخواص ومميزات السيارة .. عند سنة صنعها عند خروجها من المصنع القائم بتصنيعها .

ونظرة عابرة على الجدول المذكور — في الملحق الرابع — تؤكد وجود " الفطرة الدينية " لدى الإنسان . حيث لا يعقل أن يكون حوالي ٨٧% من تعداد البشرية بالكامل يدينون بدين ما بشكل واضح وصريح .. ويقومون بممارسة شعائر العبادة بشكل ما أو بآخر .. بدون وجود " فطرة دينية " لدى الإنسان تدفعه للقيام بهذا . وحتى الملحدون .. ومن يدعون بأنهم لا يدينون بديانة ما بشكل صريح (أي حوالي الـ ١٣ % المتبقية) ففي الواقع .. هم يؤمنون (أو يدينون) بديانة ما مستترة .. وإن كانوا لا يدركون مثل هذا المعنى . ونذكر من هذه الديانات المستترة — على سبيل المثال — المذهب العلماني .. أو " العلمانية " .. و " الماركسية " .. وغيرها من المذاهب الاجتماعية .. التي تعتبر في جوهرها شكلا من أشكال التدين المستتر ^٢ .

وبهذا المعنى تصبح " الفطرة الدينية " لدى الإنسان قضية مقطوع بصحتها (كما توضح هذا القوانين الإحصائية) .. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فطرات أساسية تأتي على النحو التالي :

الفطرة الأولى : وتتمثل في " إدراك الإنسان لوجود إله خالق له " .. وتعرف هذه الفطرة أيضا باسم : " الوعي الفطري بوجود الله (ﷻ) " .

^٢ " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " ؛ نفس المؤلف . مكتبة وهبة .

والفطرة الثانية : هي الفطرة الخاصة بـ " التدين " .. وهي الفطرة التي تدفع الإنسان نحو ممارسة عبادة " إله " ما . وينبغي ملاحظة استقلال الفطرتين كل منهما عن الأخرى . فقد يعتقد الإنسان في وجود " إله " ولا يوجد لديه دوافع لعبادته .

أما الفطرة الثالثة : فتتمحور حول البعث والجزاء .. وربما من أقوى مظاهر هذه الفطرة هو إدراك الإنسان .. أو إحساسه بأبديته .. أي أنه لن يموت . ويمكن جمع هذه الفطرات الثلاث معا تحت اسم واحد هو : " الفطرة الدينية " لدى الإنسان .

• الدين بين الحقيقة والوهم والاعتقاد ..

والآن ؛ دعنا نخرج على الفكر الغربي لرؤية حقيقة موقفه من الدين . فالواقع أن رؤية الغرب للدين – حتى الآن – تتراوح بين : " فكر الوهم " و .. " فكر الاعتقاد " . بمعنى أن الدين من المنظور الغربي هو إما أن يكون : " قضية وهمية " من اختراع وصنع خيال الإنسان .. ولا أساس له في أرض الواقع .. أو أن يكون : " قضية اعتقادية " لا برهان لها .. أي أن الدين هو .. قضية يعتقد فيها الإنسان أو لا يعتقد فيها .. ولا يوجد لها برهان يمثل دليل الصدق عليها . وبهذا لا يرقى الدين من المنظور الغربي إلى القضايا العلمية ذات البراهين الراسخة .. كما لا يرقى إلى الحقائق المطلقة التي نراها في القوانين الفيزيائية والرياضية !!! وهو ما يعني أن الغرب مازال يحيا في فترة " الطفولة الدينية " .

أما بعد مجيء الإسلام .. فقد تغير هذا المنظر تماما .. فقد قام الدين الإسلامي بنقل : " القضية الدينية " من حيز الوهم والاعتقاد إلى حيز : " القضايا العلمية الكلية " ذات البراهين الراسخة وبهذا أصبح الدين : " قضية مطلقة " .. وليس : " قضية نسبية " ٣ . هذا وقد اتبع الدين الإسلامي المنهج العلمي الحديث في أشمل وأعم معانيه في البرهنة على صدق القضية الدينية وبالتالي صدق مضامينه . ويأتي هذا المعنى بشكل مباشر .. في قوله تعالى للبشرية جمعا عن القرآن المجيد ..

٣ سنأتي إلى هذه المعاني في الكتاب الثاني من هذه السلسلة : " التحول في النموذج الديني " .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

وبديهي كلمة " برهان " لا تأتي إلا مقترنة بالنظريات العلمية والرياضية أو النظريات الفيزيائية ذات البراهين المحددة . ويأتي البرهان العلمي في القرآن المجيد على نحو البراهين العلمية المتبعة في النظريات الفيزيائية الكبرى والحديثة .. والتي تأسست على مفهوم : " المُسَلِّمة العلمية : Scientific Postulate " كما سنرى في الكتاب الثاني من هذه السلسلة .

والان ؛ على الرغم من ظهور فكر " صدام الحضارات " .. وهو في حقيقة الأمر .. توجه العالم المسيحي — صراحة — نحو الصراع الديني مع العالم الإسلامي .. بعد أن قام الغرب باستبدال العدو التقليدي أي الشيوعية بالإسلام (الإرهابي) .. خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ .. فقد ظهر في الأفق بعض الأصوات التي نادى بضرورة استئناف الحوار بين الأديان الرئيسية .. المسيحية واليهودية والإسلام . وحملت المسيحية (وفي طياتها اليهودية) أمتعتها ونواياها .. تظهر بعضها وتخفي أكثرها وذهبت لتلتقي مع الآخر المسلم المتمسم بحسن النوايا .. والمسيطر عليه القهر والضعف .. حول مائدة حوار تخفي خبث المقامر .

ورفضت المسيحية (وفي طياتها اليهودية) الحوار في أمور العقيدة بدون إبداء أسباب (كما سنرى ذلك لاحقا) .. وقصرت الحوار على السلام فقط وليتها كانت صادقة ..!!! وقبل المسلمون — بحسن نواياهم المعهودة — الحوار حول فكر السلام فقط بعد أن فقدوا رؤيتهم للتاريخ .. والواقع الحالي وغلفهم الجهل بطبيعة عقيدة المحاور ..!!!

ولا أقصد بذلك رفض الحوار عن السلام .. بل أقصد بذلك ضرورة طرح كل النصوص مهما كانت (بما في ذلك نصوص الحرب وغدر المحاور) في الديانة اليهودية والمسيحية على ملئها الحوار .. كمدخل لتجنب الحرب وتحقيق السلام .

وسوف نرى ؛ أن قبول اليهودية والمسيحية للسلام مع الإسلام .. لا يتجاوز معناه إلا عن تنازل أهل العقيدتين (اليهودية والمسيحية) عن الإيمان بعقيدتيهما . والسؤال الآن ؛ هل الغرب عنده الاستعداد للتنازل عن الإيمان بنصوص كتابه المقدس .. في سبيل قبول السلام مع العالم الإسلامي ..!!!؟ والإجابة على هذا السؤال .. هو ما سوف نراه ونناقشه في

الكتاب الثالث (المؤامرة : معركة الأرماجدون وصدام الحضارات) من هذه السلسلة . وسوف نكتفي في هذا الكتاب ببيان طبيعة الدين اليهودي والمسيحي .. ودوافع الإيمان بهما .

• الدين وتعريفه / المنظور الغربي ..

ونبدأ هذه الفقرة بالإشارة إلى أن من أشد الأمور غرابة أن يقام الحوار – الآن – بين الأديان .. ولا يعرف المتحاورون معنى للدين !!!.. وليس في هذا مبالغة .. أو تجاوز .. إذا علمنا أن البشرية لم تتفق بعد على تعريف محدد للدين . حيث تعترف بهذا صراحة موسوعة كتاب العالم الأمريكية .. حين تقول بأنه : " لا يوجد تعريف بسيط للدين يمكن أن يصف الأديان الكثيرة الموجودة الآن " في العالم " . وترى الموسوعة أن الدين من منظور الغالبية العظمى يعتبر مجموعة منظمة من الاعتقادات والطقوس والممارسات والعبادات التي تدور حول " إله أسمى " ومثل هذا المفهوم لا يكفي لإقامة حوار بين الأديان .. لأنه فكر يقر – في جوهره – بتعدد الالهة . نذكر منها على سبيل المثال ؛ أن الإله في الفكر المسيحي هو " عيسى بن مريم " والإله في الفكر البوذي هو " بوذا " .. والإله في الفكر اليهودي هو " يهوه " .. وهكذا . كما وإن لكل " إله " ميوله ومزاجه الخاص في اختيار شعبه !!!.. لهذا كان من الضروري بدء هذا الكتاب بعرض مفهوم الدين كما ورد في فكر أو منظور الغرب .. وكما يأتي به الفكر الإسلامي ..

والآن إذا ما ذهبنا إلى التعاريف المختلفة – والمتفق عليها – للدين في الفكر الغربي ، فإننا نجد أن موسوعة أديان العالم ^٥ تتبنى تعريف الدين كما جاء به قاموس أكسفورد ، حيث يعرف الدين على أنه :

" التسليم أو الاعتراف بوجود قدرة متحركة فوق بشرية ، وخصوصا الإله ذو الطبيعة الواعية وهذه القدرة تدعى الحق في إطاعتها "

^٤ في الواقع ؛ يوجد أكثر من ٥٠ ديانة على الساحة الفكرية للبشرية . ولرؤية أهم هذه الأديان (٢٣ ديانة) من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر أنظر : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " / الفصل الخامس : أديان العالم من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر . نفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .
^٥ المرجع الأجنبي هو :

" World Religions, From Ancient History to Present ", Geoffrey Parrinder , New York pp. 9 .

فكما نرى ، فإن هذا التعريف ^٦ لا يفيد من قريب أو بعيد فى تحديد طبيعة تلك القدرة فوق بشرية وماهيتها ، ولم يقل لنا التعريف ، هل هذه القدرة هى التى خلقت الإنسان ، أم ان الإنسان مخلوق بغيرها . وهل هذه القدرة خالقة — بوجه عام — أم هى قدرة مخلوقة بدورها . كما لم يقل التعريف بوجود أى كمالات لهذه القدرة ، أم إنها قدرة خالية من الكمالات . وطاعة هذه القدرة — كما يبدو من التعريف — هى طاعة اختيارية ، وليست ملزمة للإنسان . كما لم يقل لنا التعريف على ماذا نطيع هذه القدرة .

وتعريف الدين على هذا النحو يعطى الشرعية الكاملة لكل الأديان بالتواجد على مسرح الفكر الإنساني ، أو الساحة البشرية بدون استثناء ، لأن جميع الأديان تحقق مضمون هذا التعريف . ففي داخل كل دين يقول الأتباع بوجود مثل هذه القدرة المهيمنة ، وبهذا تصبح كل الأديان صحيحة من وجهة نظر هذا التعريف ؛ ولتبقى مشكلة تعدد الأديان — القضية الأزلية — قائمة كما هى حتى الآن .

أما إذا انتقلنا إلى التعريف الأمريكي للدين كما جاء فى " قاموس الميراث الأمريكي : The American Heritage Dictionary " ، فإننا نجده يقول بأن الدين هو :

" الإيمان فى ، والشعور بالورع تجاه قدرة فوق الطبيعة ، يعترف بها بأنها القدرة الخالقة والمتحكمة فى هذا الكون " ^٧

وربما كان هذا التعريف أكثر تخصيصا من سابقه ، إذ ربط الدين بالإيمان بخالق ، وإن هذا الخالق هو المتحكم فى الكون . وعلى الرغم من هذا التحديد فى المعنى ، إلا إنه لم يختلف كثيرا عن سابقه . فهو لم يحدد لنا ماهية هذا الخالق وطبيعته . كما وإنه لا يضيف جديدا للفكر البشرى تجاه الدين . فالقول بوجود الإله الخالق ، وإن هذا الإله الخالق هو المهيمن على هذا الكون ؛ هو قول موجود فى كل الأديان ، والأتباع (أو الشعب) فى كل الأديان يؤمنون بهذا .

^٦ وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزية هو كالآتي :

" Belief in and reverence for a supernatural power recognized as the creator and governor of the universe . "

^٧ وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزية هو كالآتي :

" The recognition of superhuman controlling power, and especially of a personal God , entitled to obedience "

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ونقول أن العرب قبل نزول الإسلام ، كانوا قوم شرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون في أن الله (ﷻ) هو الخالق لهم ولهذا الكون .. لقوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١)

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٦١)

[فاني يؤفكون : فكيف يصرفون عن الحق مع وجود هذا الدليل]

ولكن الأصنام هي التي كانت تعبد وليس الله ، فقد كانوا يعتبرونها الوسيلة التي تقربهم إلى الله وترفع درجتهم ومنزلتهم عنده ، لقوله تعالى :

﴿ .. وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى .. ﴾ (٣)

(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٣)

[زلفى : قربي ومنزلة وشفاعة لنا في حاجتنا عنده]

وعلى هذا فإن التعريف الأمريكي لا يحدد لنا ديانة ما ، بل حتى لا يستطيع أن يستثنى الفئات المشركة ، وعبداء الأصنام من الانضمام تحت لواء الدين بهذا المفهوم . ولنتساوى إذن الأديان أمام هذا التعريف ، ولتبق مشكلة التعدد (تعدد الأديان) قائمة بلا حل ... !!!

فإذا جئنا إلى تعريف الدين في قاموس وبستر الموسوعي المطول فنجد أنه يأتي على النحو التالي ..

" الدين : هو مجموعة معينة من الاعتقادات الأساسية والممارسات ، التي يتفق عليها بصفة عامة عدد من الأفراد أو الطوائف : مثل الديانة المسيحية " ^٨

^٨ " قاموس وبستر الموسوعي المطول : Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary .
ويأتي التعريف باللغة الإنجليزية كالتالي :

" A specific fundamental set of beliefs and practices generally agreed upon by a number of persons or sects: the Christian religion. "

وهو تعريف مشابه لما قال به كوربت^٩ :

" الدين هو نظام متكامل من المعتقدات وأسلوب حياة وشعائر ومؤسسات يمكن للأفراد من خلالها أن يعطوا أو يجدوا معنى لحياتهم بالتوجه إلى - والالتزام بما - يعتبرونه مقدسا أو / له قيمة نهائية "

وكما نرى من هذا التعريف .. نجد أن الدين مجرد نشاط اجتماعي تتفق عليه الفئة فحسب .. وتحقق لهم رضى ما .. ولا يهم طبيعة المضامين التي يحويها هذا الدين .

وفي الموسوعة البريطانية يأتي تعريف الدين بأنه :

" علاقة الإنسان بما يعتبره مقدسا أو روحي أو إلهي "

" Religion: human beings' relation to that which they regard as holy, sacred, spiritual, or divine "

أما قاموس موسوعة كتاب العالم .. فلم يزد تعريف الدين لديه عن ثلاث أو أربع كلمات هي :

" الدين: الاعتقاد في إله أو آلهة : Religion: belief in God or gods "

ونلاحظ هنا أن هذا التعريف تجنب ذكر " قضية خلق الإنسان " على نحو كلي . بمعنى أنه لم يشر إلى أن الإله قد خلق الإنسان أو حتى الآلهة قد اشتركت في خلقه .. أم أن الإنسان هو مجرد الناتج الطبيعي لوجود القوانين الفيزيائية !!!.. وبهذا التعريف نختم غاية ما انتهى إليه فكر الغرب وفهمه للدين من خلال المعاجم والموسوعات العلمية . وكما نرى هي تعاريف فضفاضة تسمح بانضواء كل الأديان تحت لوائها !!!..

والآن ؛ ما هو تعريف الدين لدى العلماء والفلاسفة !!!؟.. وللإجابة على هذا السؤال .. نبدأ هذه التعاريف بتعريف عالم الاجتماع " أميل دوركايم " ^{١٠} للدين .. الذي يقول فيه :

^٩ " الدين والسياسة في الولايات المتحدة / الجزء الأول " ؛ مايكل كوربت ، وجوليا متشل كوربت . ترجمة د. عصام فايز ، د. ناهد وصفي . مكتبة الشروق . ص : ١٢ .

^{١٠} أميل دوركايم : Emile Durkheim (١٨٥٨ - ١٩١٧) فيلسوف فرنسي (وهو يهودي الديانة) . أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث .

" الدين هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة : اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية واحدة تسمى الملة "

وهو تعريف مشابه إلى حد كبير مع ما جاء به قاموس وبستر الموسوعي على النحو السابق ذكره . وكما نرى ، أن أميل دوركايم ، قد حذف من هذا التعريف فكرة الله تماماً ، أو فكرة الخالق من مفهوم الدين ، حيث لم يقل لنا بتعريف ماهية وطبيعة الأشياء المقدسة . وبهذا لا تتساوى الأديان فقط أمام هذا التعريف ، بل يضم هذا التعريف أيضاً المذاهب الفكرية الأخوى ، من إلحاد وماركسية وعلمانية ومادية وما إلى ذلك من المذاهب المختلفة (التدين المستتر) ، طالما أن المذهب الفكري يحوى اعتقاداً ما لمجموعة من الأفراد التابعين له ، وطالما أنه يمكن إسناد القدسية — بالتعريف — لهذا الاعتقاد .

أما "سالمون ريناك" ، فالدين عنده :

" هو مجموعة من التورعات التي تقف أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا "

وهو تعريف أقرب ما يكون للكفر منه للإيمان .. فقد حذف — سالمون ريناك — فكرة الإله أو الخالق من الدين ، بل وجعل من الدين قيوداً مفروضة على الإنسان ، مما يوحى بضرورة التخلص منه . ولا ندرى — من وجهة نظر ريناك — من الذي فرض هذه القيود . هل الإنسان نفسه ، أم أن قوى أخرى علوية هي التي فرضت عليه مثل هذه القيود .

وعموماً فإن تعريف الدين لدى كل من أميل دوركايم ، وسالمون ريناك يجعل من كل المذاهب الفكرية الأخرى أدياناً . وهما بهذا يؤكدان — بدون وعي أو فهم — على وجود الفطرة الدينية لدى الإنسان .. وعدم قدرته الانفصال عن الدين والتدين . فإن لم يجد الإنسان بغيته المنشودة فى دين ما يرضى ذكائه وفطرته ، فعليه أن يذهب للبحث عن الدين والتدين فى مذهب فكرى قاصر لعله يملأ الفراغ النفسى الذي يتركه الدين والحاجة للتدين فى النفس الإنسانية .. وهو ما يمثل — فى النهاية — التدين المستتر أو غير الواعي فى الفئات الملحدة .. أو التي تدعى بأنها لا تؤمن بدين ما .. على أي نحو أو آخر !!!..

فإذا انتقلنا إلى الفيلسوف الألماني " كانط " ^{١١} " في كتابه " الدين في حدود العقل " نجد أن تعريف الدين لديه يقول بأن :

" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية "

ولم يحدد لنا " كانط " ماهية الأوامر الإلهية . فإن أحسنا الظن ، فربما يقصد الجانب الأخلاقي في الدين ، أو الضمير الفطري الأخلاقي في الإنسان . وفي هذا التعريف لا نجد كلمة واحدة قيلت عن الإله ، سواء تعدد أو تنزه أو توحيد . وهو بهذا التعريف لم يصف جديدا إلى تعريف الدين والتدين ، ولم يمنع وثنيات أخرى من أن تنضم إلى الدين . فنحن نعلم أن جميع الأديان وثنية كانت أو وضعية ، لا بد وأن تشغل الأخلاق حيزا فيها أو جانبا منها .

ويقول " ماكس ميللر " ^{١٢} في تعريفه للدين أن :

" الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللاتهاوي ، هو حب الله "

كما يقول " روبرت سبنسر " — بمعنى مشابه لهذا — بأن الدين هو :

" الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية "

وربما نلمس في هذين التعريفين السابقين مسا خفيفا للإدراك الفطري لدى الإنسان عن " وجود الله " . ولكن هذه الأقوال ليست تعريفا للدين بقدر ما هي انفعال ذاتي " بالحضرة الإلهية " .. أو بمعنى آخر الإحساس الفطري بوجود الله في النفس البشرية . فإذا ما قبلنا بهذه التعريفات للدين ، فإننا نستطيع أن نقول بأنها تعاريف غامضة تفرض على معتققيها أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ، ولا تتصوره أذهانهم ، وهما بهذا ينفصلان بالعقيدة عن العقل .

وربما كانت هذه أشهر التعريفات المتاحة للدين لدى الحضارة البشرية . وقد توسعت في عرضها إلى حد ما .. لأؤكد على أن الإنسان قد فشل تماما — كما سنرى — في تعريف الدين .

^{١١} إمانويل كانط Immanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : فيلسوف ألماني . يعتبره الغرب واحدا من أعظم الفلاسفة في جميع العصور .

^{١٢} فريدرتش ماكس ملير (Friedrich Max Müller) عالم ألماني ظهر في منتصف القرن التاسع عشر ولقب بـ : " أبو الديانات المقارنة " .

والآن إذا ما استثنينا تعريف كل من أميل دوركايم ، وسالمون رينساك للدين ؛ وهما التعريفان اللذان يسويان بين الأديان والمذاهب الفكرية المختلفة ؛ فإننا نجد من منظور التعريفات المتاحة ، أن كل دين يحوى " الإله الخاص به " أو القوة العليا المهيمنة الجديرة بالعبادة والطاعة . وبالتالي فإن الجماعة ليست مضطرة لمغادرة هذا الفكر للبحث عن الإله فى ديانة أخرى لعبادته . فإذا ما أضفنا إلى ذلك قبول الجماعة لمبدأ الميثولوجي (Mythology) ، أى أسطورية الدين أو أسطورية الدين والإله معا ، فإن " القضية الدينية " تصبح " قضية غيبية " تحكمها قوانين ميتافيزيقية (Metaphysics) – أى فيما وراء الطبيعة – ولا تمت للواقع الفيزيائي بصلة . وبذلك يصبح الدين من هذا المنظور " بناء أسطوريا " متكامل يرضى العامة أو الغالبية البسيطة ، حتى وإن ترك باب الشك والرفض مفتوحا على مصراعيه لدى القلة المفكرة .

ومن جانب آخر ؛ يصبح الانتقال من ديانة إلى ديانة أخرى – من الناحية الفكرية – موضوعا غير ذي قيمة ، فالفكر الأسطوري (أو الميثولوجي) – إذا ما استثنينا الإسلام – هو الفكر السائد فى كل الأديان . حتى وإن وجد بعض الخلافات فى بعض المضامين الدينية ، فإنها غالبا ما تكون غير ذات قيمة أو بال أو ما إلى ذلك . وتصبح الدعوة إلى اعتناق دين ما .. كمن يقايض فكرا أسطوريا بفكر أسطوري آخر ، ويصبح الموضوع برمته – إذن – غير موضوعي . ومن ثم يصبح الانتقال من ديانة إلى ديانة أخرى – من الناحية الاجتماعية – مغامرة بلا عائد . وتصبح القدرية هنا ملزمة لفكر الفرد ويصبح من الأمان عدم مغادرة الفرد لفكر الجماعة – على الأقل – لتجنب المشاكل الاجتماعية الناجمة عن هذا الانتقال ، ونبذ المجتمع للفرد .

ولا عجب بعد ذلك أن تصبح الأديان – بهذه التعريفات القاصرة – كالجزر المستقلة فى محيط لانتهائي من الرؤية الكونية الغامضة .. أو الوجود الغامض ، لا يمكن الربط بينها ، حيث يحوى كل منها الإله المعبود وبعضا من مكارم الأخلاق فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية ، وبذلك يصبح الفرد أسيرا لوجوده فى الديانة (أيا كانت) منذ ميلاده ، حيث يفقد التوجه الصحيح إلى " الله " والذي يعتبر (هذا التوجه) – كما سنرى – العلة الغائية من خلق ووجود الإنسان وأساس خلاصه ومصيره .

وليس هذا كل عيوب التعريف القاصر للدين ، بل هناك سمة أخرى لا تقل خطورة عما سبق ذكره ، وهى إيجاز (أو جواز تمرير) الأديان الخاطئة . فالتعريف القاصر للدين لا

يجعل من العسير فقط بل ومن المستحيل أيضا وضع الشروط أو المقاييس (The measures) اللازمة لتحديد هوية الديانة الحقّة من بين الأديان الباطلة . وعدم وجود مثل هذا المقياس يجعل الحكم على الأديان عشوائيا وشموليا ، حيث تصبح المقارنة بينها دربا من المستحيلات ، طالما لا يوجد المعيار المطلق أو المعيار الصحيح لإدراك الحقيقة فيما بينها . وبهذا يتساوى الخطأ بالصواب ، وتضيع الحقيقة برمتها أو كلية من بين يدي الإنسان ، ليقف الإنسان عاريا تماما .. ووحيدا تماما ... لا يغلفه إلا العجز في هذا الوجود . ويحكم مصيره الصدفة البحتة وحدها في تواجده داخل الديانة الصحيحة منذ ميلاده .

وكما سنرى إننا كلنا نشارك في هذه المسؤولية ، فالأخوة الإنسانية تحتم علينا ، كما يحتم علينا ذلك " الله " أيضا ، في أن نتساند — كما تساندنا في مجال العلم والتكنولوجيا — لإدراك الحقيقة المطلقة .. وعلى الرغم من البساطة الشديدة لإدراك هذه الحقيقة ، إلا إنها بعيدة المنال لعدم إدراك الإنسان للمعنى الحقيقي أو المفهوم الصحيح للدين ، وبالتالي خطؤه في تعريف وصياغة الدين .

• الدين وتعريفه من منظور الكتاب المقدس / الديانتان اليهودية والمسيحية ..

من الأمور الغريبة أن كلمة " دين : Religion " بمعنى العقيدة لم يأت ذكرها على نحو مطلق في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد !!!.. فلم ترد كلمة " دين " إلا في سياق معنى الدينونة أو الحكم أو يوم الدين (Day of Judgement) فقط . ولهذا لا يوجد تعريف للدين من منظور الديانتين اليهودية أو المسيحية !!!.. وهكذا ؛ أغفل الكتاب المقدس تحديد معنى الدين وتخطب الإنسان في تحديد معناه على النحو السابق ذكره في الفقرة السابقة .. وانتهى الحال بالغرب بأنه عجز عن فهم معنى الدين ومعنى دور الدين في حياته حتى الآن !!!..

• الدين وتعريفه / المنظور الإسلامي ..

كما رأينا ؛ أن التعريفات السابقة للدين .. تعكس عدم فهم الإنسان لمعنى الدين حتى الآن حيث أغفلت جميعها دور " الله " (ﷻ) — الإله الخالق وصاحب الدور الرئيسي في الدين ومصدره — في هذه الصياغة . وبديهي ؛ لا تثريب على الإنسان في هذا . فالواقع أن الله

(ﷻ) لم يوهل الإنسان (بالفطرة) لمعرفة معنى الدين بشكل مستقل عن وجوده (ﷻ)
ليجعل من الدين محل اختبار وابتلاء كأساس للغايات من خلق الإنسان . ولهذا ينحو القرآن
المجيد منحى مختلفا تماما عما سبق في مفهوم وتعريف الدين .

ففي الواقع ؛ يرتبط تعريف " الدين " في الدين الإسلامي بمفاهيم ثلاثة أساسية هي :

المفهوم الأول : هو مفهوم خاص بوحداية الخالق وثباته .. وحيث أن الدين مصدره الخالق ،
سبحانه وتعالى ، فهذا يعني - بالتالي - وحداية الدين وثباته . فلا يوجد من منظور الديانة
الإسلامية أديانا ، بل هو دين واحد أوحى به الله (ﷻ) إلى كل أنبيائه ورسله ، كما جاء في
قوله تعالى لمحمد (ﷺ) :

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣)
(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

أما المفهوم الثاني للدين : فهو مرتبط بالغاية من رسالة الدين . وهذه الغاية تتمثل في تعريف
الإنسان .. بهذا الخالق المطلق - أى تعريف الإنسان بالله ﷻ - المتفرد في الكمالات والفعل
الإلهي . وجميع الديانات - عدا الديانة الإسلامية - إما تتورط في تعريفات وثنية للإله مثل
اليهودية والمسيحية (أنظر الباب الثاني من هذا الكتاب) ، أو تغفل التعريف بالإله تماما
كالبودية والكونفوشية وغيرهما ١٣ .

أما المفهوم الثالث للدين : فهو مرتبط بتعريف .. الإنسان بالغايات من خلقه ، وهو الأمر الذي
تخلو منه .. أو تغفله جميع الديانات .

ولهذا يأتي تعريف الدين من المنظور الإسلامي بأنه : " البلاغ الصادر عن الخالق
المطلق لهذا الوجود (ويشمل ذلك كوننا هذا والأكوان الأخرى الموازية أو المترابطة معه)
لتعريف مخلوقاته (بما في ذلك الإنسان) به (كمالات وفعل) ، وتعريف هذه المخلوقات
بالغايات من خلقها ، وحثمية تحقيق هذه المخلوقات لهذه لغايات " .

١٣ " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " ، مكتبة وهبة . القاهرة . / الفصل الخامس : " أديان العالم ..
من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر " .

والغايات من الخلق (الإيمان العاقل) يعمل خلفها قوانين سرمدية فيزيائية عليا مغايرة لما نألفه – في كوننا هذا – ولكن نخضع لها كما تخضع لها الكائنات الأخرى ، سواء أدرکنا هذا أم لم ندرك . ويتمثل تحقيق الغايات من الخلق (العمل بالشریعة) .. إلى معنى وصول هذه الكائنات إلى التناغم المأمول – مع الإله الخالق – والذي يحقق لها السعادة الأبدية أو السرمدية في أكوان أخرى (لانهائية) مغايرة تحكمها قوانين فيزيائية عليا .. مثل القوانين الفيزيائية التي تحكم كوننا هذا .. إن جاز لنا استخدام مثل هذا التعبير الذي يوحي بتناظر المعاني .

ونلخص هذا المنظور السابق .. بأننا إذا قلنا بضرورة وجود الغايات من خلق الإنسان فلا بد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق لتعريف الإنسان بهذه الغايات .. وتأتي هذه المعاني السابقة عن مفهوم الدين وتعريفه في الديانة الإسلامية في قوله تعالى ..

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ الْأُولَاءُ (٥٢) ﴾
(القرآن المجید : ابراهيم { ١٤ } : ٥٢)

فالكتاب المنزل من الله (ﷻ) – القرآن المجید – هو بلاغ للناس .. حيث يرتبط هذا البلاغ الإلهي – في الديانة الإسلامية – بأمور فكرية كثيرة منها الأمور الأربعة التالية :
أولا : حرية الفرد في الإيمان أو الكفر ..

﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ .. (٢٩) ﴾
(القرآن المجید : الكهف { ١٨ } : ٢٩)

ومن منظور هذه الآية الكريمة يصبح لا معنى للأسئلة التي أثارها " جراهام فوللر (النائب السابق للمخابرات الأمريكية : CIA) مثل : هل يعتقد المسلمون أن الإسلام يجب أن يتصادم مع الكفر ؟ وهل الغرب يمثل الكفر ؟ وهل " الكفر " يشمل المسيحيين واليهود فقط ، أم يشمل المتدينين الهندوس والبوذيين وباقي الأديان أيضا ؟

وللرد على هذه التساؤلات .. أقول بأنه من الأمور البديهية ؛ طالما وأن الله (ﷻ) قد أباح للإنسان حرية الإيمان أو الكفر .. فهذا يعني .. أن على المسلمين التعايش السلمي مع الكفار

(من لا يؤمن بالله) .. وأتباع كل الديانات المختلفة .. أي المشركين (من يعتقد في تعدد الالهة أو في إله آخر غير الله ﷻ .. أي الإله الحق) كل على حد سواء . وليس هذا فحسب بل أن المولى (ﷻ) قد فرض على المسلمين أيضا تقديم الحماية للمشركين إذا لجأوا إليهم وطلبوا منهم الأمن والأمان .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ٦)

أي إذا لجأ المشرك إلى المسلم طلبا للحماية من خطر ما .. أي استجار المشرك بالمسلم (لاحظ المصدر من جار .. وما للجار من حقوق) .. فعلى المسلم أن يجره — بأمر إلهي مطلق — أي أن يقدم له الأمن والحماية ويرافقه حتى يصل إلى مكانه الآمن .

وتأتي عظمة السياق القرآني في قوله تعالى ﴿ .. ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ .. ﴾ بعد أن يسمع كلام الله (ﷻ) ﴿ .. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . أي أبلغهم مأمَنهم في الحياة الدنيا .. ومأمَنهم في الآخرة بسماعه كلام الله (ﷻ) . وهكذا ؛ يتجاوز عطاء المسلم للمشرك ١٤ .. من أمن الدنيا إلى أمن الآخرة أيضا .. ثم يتركه لعقله .. فلم يشترط المولى (ﷻ) إسلام المشرك لتبليغه مأمَنه .. فليس على المسلم سوى البلاغ ..

﴿ .. إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ .. (٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٤٨)

حيث ..

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

أي ليس على المسلم سوى أن يسمع المشرك كلام الله (ﷻ) فحسب .. وأن يبلغه مأمَنه في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ثم يتركه .. فإن أسلم — هو بعد ذلك — وأمن بالإسلام (العهد

١٤ من العظمة القرآنية أيضا في هذه الآية الكريمة السابقة عدم استخدام كلمة " كافر " بدلا من كلمة " مشرك " لأن الكافر لا يؤمن بوجود الله (ﷻ) أصلا .. بينما المشرك يؤمن بهذا الوجود .. ولكنه أخطأ في التوجه فقط لذا ففرصة إيمان المشرك أكبر منها من فرصة إيمان الكافر .

الحديث) .. فهذا حظه وقدره في تحقيق الغايات من خلقه .. وإن لم يؤمن فهذا هو محض اختياره .. وعليه تبعاته . فهل يوجد سمو في الأخلاق أعلى من هذا ؟!!!! ولهذا جاء قول الرسول الكريم (ﷺ) عن بعثته بالحديث المتفق عليه ..

[إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]

كما لخص المولى (رَحِمَهُ اللهُ) موقف الرسول الكريم في الرسالة الخاتمة بقوله تعالى ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

ثانيا : حرية الفرد في اعتناق ما يشاء من أديان ..

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ... (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

ثالثا : لا وصاية – حتى للأنبياء – على إيمان الأفراد ..

﴿ لُتَّ عَلَىٰهِم بِمُصِطَرٍّ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : الفاشية {٨٨} : ٢٢)

﴿ ... أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٩)

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَاغٌ .. (٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٤٨)

[فإن أعرضوا : أي أعرضوا عن الإيمان / حفيظا : أي لست موكلا بهم لتحاسبهم على أعمالهم .. لأن الحساب هو مسئولية المولى عز وجل ..]

﴿ .. فَأَيُّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ٤٠)

رابعا : التجرد من الهوى عند القيام بهذا البلاغ الإلهي ..

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : القصص {٢٨} : ٥٦)

وبديهي : بمثل هذه المعاني لا يمكن أن يقوم انتشار الإسلام على السيف بأي حال من الأحوال بل قام فعلا - ويقوم حتى نهاية التاريخ - على العقل والمنطق العلمي^{١٥} . وبهذا تنحصر رسالة الرسل والأنبياء في الفكر الإسلامي في القيام بالبلاغ الإلهي والدعوة الأولى فحسب . أما استمرارية الدعوة .. فهي المسئولية الملقاة على عاتق كل مسلم قادر علميا بالقيام بها .. لقوله تعالى لرسوله الكريم ..

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ١٠٨)

^{١٥} مازلت اكرر ندائي إلى " المملكة العربية السعودية " .. لاستبدال السيف الموجود على علمها بكتاب مفتوح للإشارة إلى أن : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .. لم تنتشر بالسيف كما يدعي الغرب علينا بهذا .. بل انتشرت بالعقل والمنطق العلمي من خلال القرآن المجيد .

الفصل الثاني

ورسالة إلى المتحاورين ..

كما رأينا - في الفصل السابق - أن الغرب لا يعرف معنى الدين (البلاغ الإلهي) كما لا يعرف معنى دور الدين في حياة الإنسان (تحقيق الغايات من الخلق) .. ولهذا يتخطب الغرب في تعريفه للدين حتى الآن . ولذا فإني أتوجه برسالتني هذه إلى المشتركين في ملحمة : " حوار الأديان " إلى ضرورة وحتمية الاتفاق أولا - وقبل البدء في الحوار - على تعريف الدين .. أي : ما معنى الدين (البلاغ) !!!؟.. وما هو دور الدين في حياة الإنسان (تحقيق الغايات من الخلق) !!!؟.. فلا يعقل أن يقوم حوار ما .. بين عقلاء في موضوع لا يعرفون له معنى !!!.. أو في موضوع لا يفهمون حتى عنوانه !!!؟..

وترجع أهمية تعريف الدين .. وتعريف دور الدين في حياة الإنسان بين الأطراف المتحاوره .. إلى أهمية معرفة رسالة الدين إلى الإنسان . فرسالة الديانة اليهودية / المسيحية كما جاءت في العهد القديم من الكتاب المقدس .. تتمحور حول مجرد رغبة الإله في خلق إنسان على هيئته ..

[(٢٦) وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض . (٢٧) فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وانثى خلقهم . (٢٨) .. (٣١) ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جدا ..]

(الكتاب المقدس : تكوين {١} : ٢٦ - ٣١)

وهكذا ؛ اغتبط " الإله " بخلقه للإنسان . ولكنه لم يكن يتوقع — أبداً — أن يكون هذا الإنسان شريراً ١٦ !!!.. فندم على تسرعه في خلق الإنسان ..

[(٥) ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر على الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم (٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض . وتأسف في قلبه (٧) فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنني حزنت أني عملتهم]

(الكتاب المقدس : تكوين {٦} : ٥ - ٨)

وكما نرى — من هذا النص المقدس — أن الإله قد ندم على قيامه بخلق للإنسان .. وملاً نفسه الغضب .. ولهذا يقرر محو الإنسان من على الأرض ومعه كل الحيوانات والطيور !!!.. ويعلق عالم النفس الأمريكي آريك فروم ١٧ على هذا النص المقدس بقوله :

[بأنه لا مجال هنا للقول بشيء آخر سوى أن للإله الحق في تحطيم مخلوقاته . لقد خلقهم وهم ملك له . ويصف الإله الشر الذي يرتكبه الناس بـ " العنف " ، بيد أن القرار الذي اتخذه الإله لا يمحو الإنسان وحده من على الأرض ، بل ويمحو معه الحيوان والنبات أيضاً . وهذا يبين لنا أننا لسنا بصدد حكم يتناسب مع جريمة معينة ، بل إزاء أسف الإله الغاضب على فعلته التي لم ينتج عنها إلا الشر .]

(انتهى)

ومن متناقضات الكتاب المقدس في هذا الشأن ؛ أن الإله لم يقر فعل الشر للإنسان .. بينما أقر فعل كل الشر لشعبه المختار (أي الشعب اليهودي) .. حيث دار العهد القديم كله من الكتاب المقدس (أي الديانة اليهودية) حول إضفاء الشرعية الدينية على كل ما يقوم به الشعب اليهودي (شعب الإله المختار) .. من إرهاب وإبادة وإجرام — أي قمة الشر — في حق البشرية جمعاء بصفة عامة (على اعتبار أنهم أغيار أو أمميين) .. وفي حق الشعب الفلسطيني بصفة خاصة .

١٦ يوجد هنا اختلاف جذري بين الكتاب المقدس والقرآن المجيد .. فـ " الله " (ﷻ) خلق كلا من جانب الشر والخير في الإنسان .. وجعلهما محل اختبار واختيار الإنسان .

١٧ " الدين والتحليل النفسي " ؛ آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٤٢ .

أما رسالة الديانة المسيحية في العهد الجديد من الكتاب المقدس فتتمحور حول قبول عيسى كإله فادي ومخلص (راجع كذلك الكتاب الرابع من هذه السلسلة) .. أي الإيمان بفكرة " الفداء والصلب " . وفكرة الفداء والصلب هي فكرة موعلة في الأسطورة اللاواعية .. حيث تتلخص هذه الفكرة في نزول الإله من السماء إلى الأرض وتجسده في الصورة البشرية (أي في صورة : المسيح عيسى ابن مريم) . ليسمح الإله - بعد ذلك - للإنسان بأن يوسعه ضربا وركلا وأن يوسعه إهانة ولعنا .. كما يسمح " الإله " للإنسان بأن يقتله أيضا على الصليب^{١٨} .. حتى يستطيع الإله أن يفندي الإنسان وينقذه من بين براثن الشيطان !!!.. وليته أنقذه !!!.. وسنعرض لهذه التفاصيل في الباب الثاني من هذا الكتاب .

فهذه هي رسالة اليهودية والمسيحية إلى الإنسان .. لا حكمة فيها لخلق .. ولا غايات فيها من وجود سوى المتعة (الكنيسة الأرثوذكسية) . فرسالة الديانتين اليهودية والمسيحية (والتي يحويهما كتاب مقدس واحد) للإنسان لم تتجاوز عن معنى ندم الإله وتسرع في خلق الإنسان من جانب .. وخيبة وفشل الإله في إنقاذ الإنسان من بين براثن الشيطان من جانب آخر !!!..

وإذا انتقلنا إلى معنى " الآخرة " من منظور الديانتين اليهودية والمسيحية .. فنجد أن النصوص الكتابية للدين اليهودي .. أي العهد القديم - وهي في نفس الوقت الجزء الأول من الديانة المسيحية - لا تقول بوجود آخرة صراحة للشعب اليهودي . لهذا لجأ اليهود إلى التلمود الذي قال بتناسخ الأرواح .. فقال عندما يموت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسد جنين يهودي آخر .

ويضيف التلمود ؛ أن أرواح اليهود هي جزء من الله بينما الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات . واليهود الذين يرتدون عن دينهم يقتلهم يهوديا ، فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابا ألينا مدة اثني عشر شهرا ، ثم تعود ثانية وتدخل في الجماد ، ثم في الحيوانات ، ثم في الوثنيين ، وبعد كل ذلك تظهر لتعود إلى أجساد اليهود^{١٩} .

^{١٨} لا أود أن أزعج بلفظ الجلالة : " الله " .. في مثل هذه الوثنيات الفكرية .. لذا فسوف أقصر الذكر على كلمة إله - كلما أمكن - بدلا من لفظ الجلالة " الله " الذي تبنته الكنيسة العربية في كتابها المقدس .. على الرغم من أن هذا اللفظ - أي الله - لا يوجد في الأصول الأولى للكتاب المقدس !!!..

^{١٩} وهو ما نقول به ديانات الهند الكبرى .. مثل الهندوسية والبوذية والجينية .. وغيرها . انظر مرجع الكسلب السابق : " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " . مكتبة وهبة .

أما النصوص الكتابية للدين المسيحي فقط (أي العهد الجديد) فليس لديها هي الأخرى مقولة حاسمة في هذا الشأن .. وإن وجدت فليست سوى اخرة ضبابية ومتردية ٢٠ لا قيمة لها ولا نفع فيها . ولهذا فالشعوب اليهودية والمسيحية هي شعوب مغيبة تماما عن واقع وجودها ومصيرها يدفعهم في هذا نصوص كتابهم المقدس .. والتي تؤدي بهم إلى محاولة النهل المادي من هذه الحياة الدنيا بأي ثمن وبأي وسيلة .. دون الاعتبار إلى أي قيم روحية أو أخلاقية أو مثل عليا (أنظر الكتاب الرابع من هذه السلسلة) !!!.. وليس أدل على هذا من قول الكنيسة الأرثوذكسية ٢١ :

[أن الله لم يخلق الإنسان لكي يعبد ويمجده .. بل خلقه ليجعله يتمتع بالوجود]

وبمحاولة بحث هذه الشعوب عن اخرة لهم (يدفعهم في هذا الفطرة البشرية) .. تلوح لهم في الأفق : " العقيدة الألفية السعيدة " .. وهي أخرة متردية لا يتجاوز زمنها عن ألف سنة أرضية .. يقول عنها المولى (ﷺ) في قرآنه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ وَلَتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّرٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦)

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٩٦)

وفي هذه العقيدة الألفية .. يعود " المسيح الإله " إلى الارض للمرة الثانية (لاحظ عند مجيء " المسيح الإله " للمرة الأولى إلى الأرض .. قام الإنسان بقتله !!!..) ليحكمها مع الأبرار من المسيحيين فقط .

٢٠ " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " : نفس المؤلف . مكتبة وهبة .

٢١ " سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثاني ، الطبعة الخامسة . ص : ٩ .

٢٢ كما نرى في هذا النص الكريم أن القرآن المجيد يشير إلى العقيدة الألفية السعيدة بأكثر من ألف سنة قبل بدء ظهورها . فقد ظهرت هذه العقيدة في القرن السابع عشر على يد العالم التوراتي الإنجليكاني " جوزيف ميد " (Joseph Mead (Mede), a 17th-century Anglican biblical scholar) . حيث أهمل " ميد " الترجمة المجازية للكتاب المقدس التي طالما صاحبتها ، واعتبر أن نصوص سفر الرؤيا .. تحمل وعدا حقيقيا أو حرفيا لمملكة الله والعودة الثانية للمسيح وحكمها لمدة ألف سنة (عن الموسوعة البريطانية) .

ولكن من شروط المجيء الثاني للآله إلى الأرض (كما يعتقد في هذا الشعوب المسيحية) : هو حتمية قيام الشعوب المسيحية (محور الخير) بإبادة الشعوب الإسلامية (محور الشر) ومحو الإسلام من الوجود^{٢٣} .. بالمعركة المرتقبة التي تعرف باسم " معركة الأرماجدون أو الهرمجدون " وذلك حتى يمكن للآله تأسيس إمبراطورية الخير وبدء الفترة الألفية السعيدة تحت حكم السيد المسيح المرتقب . وسنناقش هذه المعاني بالتفصيل في الكتاب الثالث من هذه السلسلة (المؤامرة / معركة الأرماجدون .. وصدام الحضارات) . ومثل هذه المعاني تحتم فكر " صدام الحضارات " .. وليس " تكامل الحضارات " كما يحلم بهذا العالم الإسلامي المغيب أيضا !!!..

ثم ننتقل إلى الجانب الأخلاقي في الكتاب المقدس . ففي الحقيقة ؛ أن النصوص الكتابية للديانتين المسيحية واليهودية تدفع شعوبهما إلى الانهيار الأخلاقي . حيث يؤكد على هذا المعنى عالم النفس سيجموند فرويد^{٢٤} (وهو يهودي الديانة) فيقول : إن المثل والقيم .. كالعقل وتخفيف العذاب على الإنسان ، والأخلاق جميعها مهددة من قبل الدين المسيحي . ولهذا فهو يعترض على ربط الدين بالأخلاق لسببين :

السبب الأول : أن الدين المسيحي يضع أسسا مهزوزة أشد الاهتزاز للأخلاق . ومن أشد الأمور إيضاحا لهذا الاعتقاد هو قيام الولايات المتحدة الأمريكية – شديدة الإيمان بالمسيحية – إثارة الحروب وقتل الملايين (بدون أي ضمير أخلاقي يذكر) لمجرد التخلص من مخزون سلاحها القديم .. وتجربة سلاحها الجديد .. بغض النظر عن ملايين الضحايا .. وبغض النظر عن حجم الدماء والالام التي تسببها للبشرية كنتاج طبيعي عن هذه الحروب .

أما .. السبب الثاني : فقد رأي فرويد .. أن الاعتقاد الديني في سبيله إلى الانحلال ، لذا فإن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدي بالتالي إلى تحطيم قيمنا الأخلاقية ، عندما ينتهي الدين من حياتنا .

^{٢٣} كما سبق وأن بينت أن : " انتهاء الإسلام .. لا يعني سوى الانتهاء الوجوبي للبشرية " .. طالما لن يبقى إلا الكفر . فليس هناك حكمة في بقاء مصنع قد صار كل إنتاجه نالفا .

^{٢٤} سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩) طبيب أمراض عصبية نمساوي (يهودي الديانة) ، يعتبر أشهر علماء النفس وأبدهم أثرا في الفكر الحديث . أسس المدرسة التحليلية في الطب النفسي (Psycho-analysis) . أكد على أثر اللاوعي والغريزة الجنسية في تكوين الشخصية . أصيب بالسرطان حوالي عام ١٩٢٣ ومات به . أشهر آثاره : " دراسات في الهستيريا : Studien ber Hysterie " (عام ١٨٩٥) و " تأويل الأحلام : Die Traumdeutung " (عام ١٨٩٩) . ولمزيد من تفاصيل رؤية فرويد للدين يمكن الرجوع إلى مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " . مكتبة ومبة .

وهنا نرى ؛ أن سيجموند فرويد قد وقع في خطأ مفهوم زوال أو انحلال الدين .. وهو ما يعنى التكرار للفطرة البشرية التي فطر الله (ﷻ) الناس عليها . وبديهي ؛ لفرويد كل العذر في هذا الخطأ نظرا لارتباط الفكر الديني لديه بفكر الأسطورة والخرافة .. وهو ما يعني أن هذا الفكر لايد وأن ينتهي اجلا أو عاجلا تحت سطوة العقل والعلم .. وهو ما يعني انتهاء الدين لديه .

• سيكولوجية التدين / ودوافع الاعتقاد في الديانات الوثنية

كما رأينا في مراجع الكاتب السابقة – وكما سنرى هنا في إيجاز غير مغل – أن الديانتين اليهودية والمسيحية تموجان بالخرافات والأساطير . وفي محاولة مبذولة من جانب الفلاسفة وعلماء النفس في تفسير ظاهرة قبول الإنسان التدين بمثل هذه الديانات الوثنية .. تبدأ بمحاولة " سيجموند فرويد " (أنظر تذييل ٢٣ السابق) في إيجاد تفسير مقبول أو معقول لهذه الظاهرة .

فسيجموند فرويد وجد أن الإنسان في الجانب الواقعي كأننا عاقلا متعلقا ومنطقيا بشكل واضح ، بينما وجده في جانب الديانة الوثنية كأننا فاقدا للعقل والمنطق معا . لهذا رأى فرويد أن الإنسان يسهل عليه الاحتفاظ بالآديان الوثنية ، باعتبار أن الدوافع السلوكية للإنسان تجاه الدين تماثل الدوافع السلوكية للطفل تجاه أبوه ، وبهذا احتفظت البشرية بالمنهاج الديني الوثني كنوع من الامتداد للفكر الطفولي لدى الإنسان .. المماثل لفكر الأبوة .

بينما يرى بعض علماء النفس المعاصرين ، ومنهم " أريك فروم " أن قدرة الإنسان على الاحتفاظ بالديانات الوثنية ، ترجع – في الواقع – إلى أن الإنسان يملك " القدرة على التبرير " وأن هذه القدرة هي جزء من الطبيعة البشرية ، وبهذه الطبيعة يصبح الإنسان قادرا على قبول أشياء بعيدة عن الأمر الواقع ، أو بعيدة عن العقل ٢٥ بسهولة ويسر .

ولم يفهم كل من سيجموند فرويد ، واريك فروم .. معنى " الفطرة الدينية " لدى الإنسان على النحو السابق ذكره في الفقرة الأولى من الفصل السابق . وكما سبق وأن ذكرنا فإن المولى (ﷻ) قد قسم الفطرة الدينية لدى الإنسان إلى ثلاث فطرات أساسية تأتي كالتالي :

٢٥ - الدين والتحليل النفسي ؛ أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب .

الفطرة الأولى : " الوعي الفطري بإدراك وجود الله / وجود حيز للاله في النفس البشرية " حيث يقول المولى (عليه السلام) عن كيفية تكوين هذه الفطرة ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

والتوقف قليلا حول معنى هذه الايات الكريمة .. يرينا أن الإنسان يدرك وجود خالق له بالفطرة . أي أن الإنسان يدرك وجود الله (عليه السلام) .. كما يدرك وحدانيته (عليه السلام) .. حيث قام المولى (عليه السلام) بزرعهما (الوجود والوحدانية) في داخل النفس البشرية منذ أن كان الإنسان طفلا في عالم الأرحام .. وقبل الميلاد . ولا سبيل للإنسان — فيما بعد — للتكرار لإدراك هذا الوجود الإلهي تحت زعم أو دعوى الغفلة أو اتباع الآباء المشركين ..

﴿ .. أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ .. أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ .. ﴾

وهنا : يجدر الإشارة إلى أننا إذا تبيننا معنى الدين بأنه الاعتقاد في إله خالق (كما جاء هذا في قاموس موسوعة كتاب العالم) .. فإن هذه الايات الكريمة تشير إلى " الفطرة الدينية " لدى الإنسان .

الفطرة الثانية : التدين (أو الحاجة إلى ممارسة العبادة) .. بمعنى أن الإنسان مدفوع بالفطرة إلى القيام بممارسة عبادة ما .. لإله ما .. قد يدرك صفاته أو قد لا يدرك . أي عبادة لا تحديدية فيها . وبهذا تصبح الغاية النهائية من خلق الإنسان .. تقديم العبادة الصحيحة للإله الخالق (عليه السلام) لهذا الوجود .. حتى يتحقق تناغم الإنسان — بالسكينة — مع باقي الوجود .

وممارسة العبادة (أو التدين) هي فطرة لدى الإنسان . فقد يدرك الإنسان وجود الإله الخالق ولكنه ليس لديه أية مشاعر نحو تقديم العبادة له . وممارسة العبادة يقبع وراءها دوافع

فطرية - خفية - أخرى : .. منها الإحساس بالقرب من هذا الإله الخالق .. وهو ما يولد " الطمأنينة " الروحية للإنسان في هذه المعية الإلهية من جانب .. كما ينمي - هذا القلوب - دوافع عمل الخير لدى الإنسان ويبعده عن عمل الشر .. من جانب آخر .

وتنتهي هذه المعية الإلهية في ذروة معانيها إلى " الحب المطلق " (والذي يقع تحت طائلته طيف معاني الحب المادية الأخرى) . وهو الحب الكامن في داخل النفس البشرية نحو الإله الخالق .. والذي يتألق في مظاهر مغايرة (حب البشر) تستر خلفها هذه الحقيقة أو هذه الفطرة . وتأتي هذه الفطرة أي " فطرية ممارسة العبادة " والتي تتمحور حول الطمأنينة وحب الإله الخالق في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

وتجمع هذه الآية الكريمة بين كل من : (١) فطرة التدين .. و (٢) الغايات من الخلق .. على حسب قراءة حركة الحرف الأخير من كلمة " ليعبدون " بين السكون : " ليعبدون " .. أو الجواب " ليعبدون " وكلاهما جائز . فمن منظور فطرة التدين (ليعبدون - أي بسكون النون) فإن الإنسان سوف يقوم بممارسة عبادة ما من أي نوع (اعتمادا على إدراكه الفطري بوجود إله خالق له) . لا تحديد فيها لنوع الطقوس المؤداة . أما من منظور : (ليعبدون - أي بكسر النون) فإن الغاية النهائية من خلق الإنسان هو عبادة الله (ﷻ) الواحد الأحد .

وبهذه المعاني السابقة عن الفطرة البشرية .. يمكننا - الآن - إلقاء الضوء أو تفسير قبول الإنسان الإيمان بالديانات الوثنية .. والتي تموج بالنصوص الأسطورية والخرافية .. وعدم اتساقها مع العقل ومعطيات العلم الحديث .

• نظرية الإحلال ..

مما سبق يمكننا القول وبشكل مباشر .. أن (الإله) الوثن في هذه الديانات يكون قد احتل حيز الإله الحقيقي (أي حيز الله ﷻ) في نفس جموع وأتباع هذه الديانات (أي في النفس البشرية) .. وهنا يصبح تمسك الجموع بالإله الوثن والدفاع عنه - وبالتالي الدفاع عن الدين -

هو دفاع الإنسان الطبيعي عن إدراك وجود الله (ﷻ) .. بعد أن احتل الوثن مكان الإله الحقيقي (هذا بفرض : جهل رجال الدين بهذه المعاني .. وليس خداعهم للاتباع والتغريب بهم) حيث يميل الكاتب إلى الاعتقاد - الذي يصل أحيانا إلى درجة اليقين - إلى أن رجال الدين اليهودي والمسيحي (الذين يعيشون بين ظهرانينا ويتكلمون العربية) يعرفون حقائق الأمور ويحبونها عن الجموع المغيبة لأهداف شخصية متباينة .. منها الإبقاء إلى مكانتهم المقدسة وما يتبع ذلك !!!.. وبهذا - هم - يرتكبون أكبر عملية غش وتزوير في حق البشرية جمعاء !!!..

ومن هذا المنظور .. يمكننا تعريف : [ظاهرة تعدد الأديان .. بأنها الظاهرة التي يحتل فيها " الإله الوثن " وعبادته .. حيز " الإله الحقيقي " وعبادته في داخل النفس البشرية .. وبهذا يصبح التمسك بالوثن والدفاع عن الدين هو التمسك الطبيعي بالإله والدين .. كما تقضي بذلك الفطرة البشرية] .

وهو ما يمكن أن يعرف باسم " نظرية الإحلال " .. أي إحلال " الإله الوثن " مكان " الإله الحقيقي " في داخل النفس البشرية .

• إدراك الأبدية ..

وأخيرا نأتي إلى ..

الفطرة الثالثة : وهي " إدراك الإنسان أو إحساسه بأبديته " .. أي إنه باق وغير منتهي . وربما من أهم النصوص القرآنية التي تعبر عن هذه الفطرة هو طبيعة خلقنا وارتباطها بالله (ﷻ) .. كما جاء في قوله تعالى مخاطبا الملائكة في شأن هذا الخلق ..

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ - ٧٢)

ويقع خلف قوله تعالى .. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي .. ﴾ كل الفكر الصوفي (ابن عربي) .. وغير الصوفي أو الفلسفي (باروخ سبينوزا) الذي ينادي بوحدة الوجود .. وكل

من ينادي بالحلول (العلاج) . وسبق الكلام عن هذه الاتجاهات الفكرية في مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " . ومن هذا المنظور ومن منظور البعث والجزاء في أكوان أخرى موازية سبق تعريف الإنسان بأنه :

" ذلك الكائن الحي المدرك لوجوده وللوجود .. والذي يحتل الحدود المشتركة (The Common Boundaries) لعدة عوالم مختلفة (أكوان موازية) تحدد ظهوره ومكانته في أي منها قوانين عليا (فيزيقية / ميتافيزيقية) ترتبط بسلوكه واعتقاده وحركته فيها ٢٦ . "

• " الإيمان العاقل " ٢٧ .. ونظرة سريعة على الغايات من الخلق ..

كما سبق وأن ذكرت ؛ أن الآية الجامعة الخاصة بالغايات من خلق الإنسان تأتي في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٢٨ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات { ٥١ } : ٥٦)

وتجمع هذه الآية الكريمة بين كل من : (١) فطرة التدين .. و (٢) الغايات من الخلق .. على حسب قراءة حركة الحرف الأخير من كلمة " ليعبدون " بين السكون : " ليعبدون " .. أو الجو " ليعبدون " . والعبادة هنا هي على نحو مطلق لا تخصيصية فيها .. وهنا يطفو دور " العقل " إلى السطح متمثلاً في الغايات من الخلق — وإلا لما خلق العقل الإنساني على هذا النحو من القدرات — في قوله تعالى ..

٢٦ " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " نفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

٢٧ في مقابل " الإيمان غير العاقل " الذي تنادي به المسيحية واليهودية .. والديانات الوثنية الأخرى . مزيد من التفاصيل في الكتاب الثاني من هذه السلسلة . أنظر كذلك : " الدين والعلم وفصول الفكر البشري " لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

٢٨ في المقابل تقول الكنيسة الأرثوذكسية : " إن الله لم يخلق الإنسان لكي يعبد ويمجده .. بل خلق الإنسان لكي يجعله يتمتع بالوجود " . [" سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثاني ، الطبعة الخامسة ص : ٩]

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ .. (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

وهو القرار الإلهي المباشر الذي ينفي حق الإنسان في التوجه بالعبادة إلى أي إله آخر .. غير " الله " سبحانه وتعالى . وربما كانت هذه المعاني .. تمثل جوهر " لغز الوجود " .. و " الغايات من الخلق " . هذا وقد سبق تعريف " لغز الوجود " بأنه البرهنة المطلقة على :

- ١ . وجود الخالق المطلق للوجود .
- ٢ . وجود القضية الدينية المطلقة .
- ٣ . وجود الغايات من خلق الإنسان .
- ٤ . حتمية تحقيق الإنسان لهذه الغايات .

ويمكن اختصار هذا التعريف (أي تعريف " لغز الوجود ") في عبارة واحدة فقط هي : " التعرف على الدين الحق من بين الديانات الوثنية " .. أو " التعرف على الإله الحق من بين الآلهة الزائفة " .

وسنأتي إلى مزيد من التفاصيل لهذه المعاني في الكتاب الثاني من هذه السلسلة (التحول في النموذج الديني / القرآن المجيد : العهد الحديث) . ولابد من التنبيه إلى أن تغيب العقل في الأمور الدينية يقضي على الإنسان بشكل نهائي وقطعي .. كما جاء قوله تعالى .. في وصف الشعوب التي لا تعمل عقلا في القضية الدينية ..

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ١٠ - ١١)

أي أن " الإيمان العاقل " هو المحور الأساسي للعقيدة في الفكر الإسلامي . ثم يأتي بعد الإيمان العاقل : " العمل الصالح " .. وهو محور اختبار وابتلاء الإنسان في هذه الحياة الدنيا .. إلى حد أن الموت والحياة لم يخلقهما الله (ﷻ) إلا لاختبار الإنسان في أعماله الصالحة .. كما يأتي هذا في قوله تعالى ..

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

[ليبلوكم : ليختبركم]

والعمل هو فرض عين على كل مسلم .. بأمر إلهي قطعي كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ١٠٥)

والعمل الصالح في الفكر الإسلامي هو كل ما يعود بالنفع .. ليس على البشرية فحسب .. بل على كل ما هو قائم في الوجود من حيوان ونبات وجماد (البيئة) أيضا .. !!.. ويقترن الإيمان العاقل — في الفكر الإسلامي — دائما بالعمل الصالح . فلم يذكر الإيمان ولا مرة على طول القرآن المجيد إلا مقترنا بالعمل الصالح .. فلا يصح الإيمان بدون العمل الصالح ..

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٨٢)

والعمل الصالح من المنظور الإسلامي لا ينبغي أن ينقطع حتى في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان .. كما قال بذلك الرسول ^{٢٩} (ﷺ) ..

[إِن قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَدَأَ أَحَدُكُمْ فَسِيلَةً فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَن لَّا يَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ]

[الساعة : يوم القيامة .. أو اللحظات الأخيرة في حياة الفرد وقبل موته مباشرة / الفسيلة : النخلة الصغيرة التي تقطع من النخلة الأم — أو ما شابه من النباتات الأخرى]

٢٩ "مسند أحمد" حديث رقم ١٢٥١٢ . رواه هشام بن زيد / عن أنس بن مالك / عن رسول الله (ﷺ) .
موسوعة الحديث الشريف ، الإصدار الأول ١٠١ . شركة صخر لبرامج الحاسب .

الفصل الثالث

موقف الفكر المسيحي من نصوص الكتاب المقدس

بديهي ؛ بعد العرض السابق لعلاقة الإنسان بالدين والتدين .. وإلقاء الضوء على طبيعة تدين الإنسان بالأديان الوثنية وموقف الإنسان منها على الرغم من وضوح هذه الوثنيات الفكرية بصورة لا تخطئها العين المجردة كما سنرى ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب .. يأتي دور مناقشة موقف الشعب المسيحي من نصوص الكتاب المقدس ..

فمن المعروف - من خلال الكتب المتخصصة - أنه مهما حاول المتخصصون في الدراسات اللاهوتية التوغل في نقد وفحص نصوص التوراة (أو الكتاب المقدس بصفة عامة) المتعارضة والمتناقضة مع بعضها البعض .. فإنهم يعزفون دائما عن التعمق في الوصول إلى أغوارها الحقيقية ، بل ويفضلون أن يطلقوا على ما يجدونه من ضروب التناقض تسمية : " الشبهات " أو : " الصعوبات : Difficulties " .. إذ ليس لديهم الرغبة الحقيقية في دراسة هذه الشبهات أو الصعوبات الدراسة الجادة في ضوء الحقائق العلمية الحديثة مع التسليم بنتائج هذه الدراسة . ويصل هذا الاتجاه أقصاه إلى الحد الذي يأتي فيه القديس : " يوحنا ذهبي الفم " ليقول لنا عن المتناقضات الموجودة في الأناجيل ٣٠ :

[أن ما يرى في البشائر (أى فى الأناجيل) من الفروق هو من أعظم البينات على صحتها لأنه لو كان هناك اتفاق تام فى كل الأمور لكان أعداء الحق يقولون أن الكتب (أى كتبة الأناجيل) قد تشاوروا أولا واتفقوا على ما يكتبونه]

٣٠ " حل مشاكل الكتاب المقدس " القس منسي يوحنا ؛ مكتبة المحبة ، ص : ١٥ . وسنعرض لبعض الأمثلة في الفصل التالي من هذا الكتاب .

وهنا يمكننا أن نرى بوضوح أن القديس يوحنا ذهبى الفم يطلق كلمة "فروق" على "المتناقضات" .. كما يطلق على من لا يؤمن بهذه المتناقضات اسم "أعداء الحق" . وبهذا المفهوم يصبح وجود المتناقضات في الكتاب المقدس بيّنة .. ودليل صدق على صحته . وبالتالي لا جدوى ولا قيمة لمناقشتها مع أهل العقيدة . وهكذا تطوع أخطاء ومتناقضات الكتاب المقدس في فكر العقيدة المسيحية إلى الحد الذي تصبح فيه ضرورة لازمة لصحة هذا الكتاب ودليل صدق عليه ...!!! واللاعقل في نصوص الكتاب المقدس هو أمر مسلم به .. إلى حد ظهور شكل ديني جديد من التصوف المسيحي يمجّد كل ما هو منافي للعقل كسمة من سمات الحق الديني ^{٣١} .

ويقول موريس بوكاي ^{٣٢} : "إننا لندهش عندما نرى ردود الفعل الطائشة من جانب المفسرين المسيحيين في محاولاتهم المستميتة للدفاع عن الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة بالكتاب المقدس . إن بعض المتخصصين يضع يده على بعض الأخطاء والمتناقضات ولا يترددون في التعامل مع هذه المسائل الشائكة .. وبعضهم الآخر يمتثلون باستخفاف على هذه المتناقضات ويصرون على الدفاع عن النصوص كلمة .. كلمة .. ويحاول آخرون أن يقتنعوا الناس عن طريق التماس الأعداء لتبرير وجود هذه الأخطاء والمتناقضات بالكتاب المقدس باللجوء إلى مناقشات بعيدة عن الموضوع لصرف الانتباه عن صميم المشكلة على أمل أن ما يستحيل قبوله عقليا ومنطقيا .. سيتم نسيانه في خضم المعلومات المعقدة غير ذات الصلة بالموضوع .

ومن جانب آخر ؛ فإننا نجد أن علماء اللاهوت في العادة يقبلون القيام بعمل مقارنات متعلقة بتاريخ وقوع بعض الأحداث خصوصا عندما يكون هناك اتفاقا بين الكتاب المقدس وبعض معطيات علم التاريخ (History) . ولكنهم تعوزهم الصراحة والاستقامة عند إجراء مقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وبين حقائق العلوم الحديثة . إن المتخصصين في الدراسات اللاهوتية يدركون أن مثل هذه الصراحة والاستقامة عند إجراء هذه المقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وحقائق العلوم الحديثة ستؤدي بالناس لا محالة إلى الاقتناع بعدم صحة وبعدم مصداقية النصوص المقدسة اليهودية/المسيحية (Judeo-Christianity)

^{٣١} " حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي " . ر. ك. سبرول ؛ ترجمة : نكلس نسيم سلامة . مكتبة المنار . ص : ٧ (يوزع في المكتبات المسيحية فقط) .
^{٣٢} " التوراة والأنجيل والقرآن الكريم .. بمقياس العلم الحديث " د. موريس بوكاي . ترجمة على الجوهرى . مكتبة القرآن . ص : ٥٤ / ٧٧ .

Scriptures) والتي لا يجروا الناس في الغرب أن يعرضوا لها بالدراسة أو بالاعتراض عليها حتى هذا اليوم .

بل ويضيف الدكتور موريس بوكاي (نفس المرجع .. ص : ٣٢) بأنه يمكننا أن نرى فكر الأب : " دي فو " الذي ينتهي منه إلى أن دمج الخرافة والأسطورة مع الفكر الإلهي في الكتاب المقدس .. هو تبرير مقبول من أجل تقوية وتدعيم الإيمان لدى الإنسان !!!..

• فكر النشأة والهروب من المواجهة / غسيل مخ الاتباع ..

كان يلزم — هنا — التعرض للنشأة الدينية للطفل المسيحي .. وكيف تؤدي هذه النشأة إلى عدم استقلالية الفرد الفكرية في المسائل الدينية . والهدف من هذا التعرض .. ليس فقط إلقاء الضوء على طبيعة الحوار المرفوض والمبتور — منذ البداية — مع الآخر .. بل إلقاء الضوء أيضا على طبيعة إيمان الآخر . وعندما أعرض لهذا الفكر .. فإني لا أتحرّك من فراغ .. بل أعرض هذا الفكر — في إيجاز شديد — من واقع خبرة طويلة ومسيقة من دراسات .. وحوارات مبتورة — على مدار سنوات طويلة — مع شخصيات مسيحية مرموقة من جانب .. ومبشرين محترفين من جانب آخر . وسوف أقوم بعرض جانب من هذا الحوار في الكتاب الرابع من هذه السلسلة (الحوار الخفي / الدين الإسلامي في كليات اللاهوت) .

ونبدأ أولا بالنشأة المبكرة للطفل المسيحي . فعن كتاب : " إرشاد الصغار .. إلى الله " ٣٣ .. يقول الكاتب عن كتابه :

[هذا الكتاب سيساعدك على معرفة الله وفهم حقه . وسيعينك على أن تتعلم وتفهم عظمة الله وروعته واهتمامه بنا ، كما سيعلمك كيف تحب الله وتحيا بالقرب منه رغم أنك لا تراه]

وبديهي لا تثريب في هذا المنطق .. بل ومدخل جيد للإيمان . ثم يسهب الكاتب بعد ذلك في تقديم : " الله " (ﷻ) بالمفهوم المطلق الذي لا خلاف عليه من الناحية العقلية والمنطقية .. مثل :

٣٣ " إرشاد الصغار إلى الله : Leading Little Ones to God - ماريان سكولاند . ترجمة ميشيل جندي . مكتبة المنار . ونلاحظ أن المترجم قد استخدم لفظ الجلالة : " الله " الترجمة إلى العربية في مقابل الاسم النكوة : " إله : God " . واسم الله — كما سبق وأن بينا — لا علاقة له بالديانة المسيحية .

- الله لا يقيد زمان ولا مكان ..
- الله موجود في كل الوجود ..
- الله عليم بكل شيء ..
- قداسة الله ..
- صلاح أعمال الله ..

وهكذا .. جميعها صفات متعالية لا خلاف عليها .. بل وتتعارض تماما مع المنظور الأسطوري والخرافي الموجود عليه فكر الإله وشكله في الكتاب المقدس .. ولكن لا يتم الإشارة إلى هذه المعاني الأسطورية للطفل في هذه السن المبكرة . وبهذا ينشأ الطفل على الإيمان بوجود الله عز وجل .. وبصفاته المثالية (أي كمالاته الإلهية) . وبديهي ؛ لا خلاف في هذا أو تناقض مع الفطرة البشرية . وهكذا ؛ تعتمد النشأة المبكرة للطفل المسيحي على تعميق إحساس الطفل بإدراك وجود الله (ﷻ) .. وبهذا ترتبط الديانة المسيحية في فكر الطفل بفكر وجود : " الله ﷻ " . وبهذا المعنى ينشأ الفرد المسيحي على الاعتقاد : في أن التشكيك في الديانة المسيحية .. لا تعني سوى التشكيك في وجود الله (ﷻ) نفسه . وطالما وأن الطفل قد اقتنع عقلا وموضوعا بوجود الله .. فلا بد - إذن - من أن تكون الديانة المسيحية نفسها ديانة صحيحة عقلا وموضوعا استنادا إلى الإيمان إلى وجود الله .. وذلك بدون الحاجة إلى الدخول في أي تفاصيل حول معاني المضامين الدينية الواردة في الديانة نفسها وخرافتها وأسطورتها معا . ومثل هذه النشأة تجعل الفرد المسيحي يعتقد في أن : " الدين مصدر التعريف بالإله .. وليس الإله هو مصدر التعريف بالدين " .

وبهذا المعنى يصبح الدفاع عن العقيدة والتمسك بها .. هو بمثابة دفاع الإنسان - الفطري - عن وجود الله (ﷻ) والذي يدرك الإنسان وجوده حق الوجود ...!!! ولم يدرك الفرد المسيحي أنه أبعد ما يمكن عن التوجه الصحيح إلى الله ٣٤ .. إذا ما علم يقينا بما جاء به الكتاب المقدس عن الصفات المتردية عن الإله .. وهو ما يتناقض - بشكل قطعي - مع ما وقر في نفسه من قدسية وكمال تعلمه في الصغر بشكل مستقل عن الكتاب المقدس ...!!!

٣٤ تأكيداً على هذا المعنى .. ربما لا يعرف الفرد المسيحي (الناطق بالعربية) أنه عندما يتوجه بالعبادة إلى " الله " سبحانه وتعالى .. فهو في حقيقة الأمر يتوجه بالعبادة إلى إله المسلمين " الله " وليس إلى إله الديانة المسيحية " عيسى بن مريم " ...!!! حيث لا علاقة للمسيحية في أصولها الأولى بلفظ الجلالة الإسلامي " الله " عز وجل .

كما لابد من التنبيه إلى أن إدراك وجود أو الاعتراف بوجود إله خالق .. لا يكفي إطلاقاً لنيل الخلاص المأمول ما لم يكن توجه الفرد اليهودي أو المسيحي إلى الإله هو التوجه الصحيح .. أو هو التوجه الحق . فلابد من التنبيه إلى أن عابد الأصنام هو شخص مؤمن بوجود إله خالق – لا جدال في هذا – ولكنه متوجه التوجه الخاطئ إلى الإله .. بلا أدنى شك !!!..

وبعد هذا التقديم السابق – والمنطقي جداً – وتمام ثقة الطفل في صحة وجود الله .. وبالتالي صحة الديانة نفسها .. تقوم الكنيسة بتقديم : " يسوع " – على استحياء – على أنه ابن الله .. ولكنها تشترط – على الطفل – أن معرفة " يسوع " لا تتم إلا بالإيمان أولاً بالكتاب المقدس ككل !!!.. حيث يقول الكتاب السابق في صفحة ١٢٠ .. تحت عنوان : " كيف نعرف من هو يسوع ؟.. " :

" إذا آمنّا بالكتاب المقدس ، سيتحدث الروح القدس ٣٥ إلى قلوبنا .. ويخبرنا أن يسوع هو ابن الله وسنتأكد أيضاً أنه مخلصنا " (سنأتي إلى تفاصيل هذه المعاني فيما بعد) .

ومن طبيعة الإدراك الواعي للكنيسة بأسطورة وخرافة الديانة نفسها (هذا إن لم تكن هي نفسها غير واعية أو مدركة لهذه المعاني .. أي أساطير وخرافة هذه النصوص) .. كان عليها أن تقطع خط الرجعة على تفكير الفرد المسيحي فيما بعد تمام نموه ونضجه الفكري !!!..

لهذا تقوم بتعويد النشء منذ الصغر .. على الإيمان بأن السلطات الكنسية (The Church Authorities) هي الجهة الوحيدة التي يمكن أن تقدم دائماً الحلول لمشاكل الكتاب المقدس التي يمكن أن تواجه الفرد أو يتعرض لها في أثناء حياته . فتبين له أن الكنيسة هي الجهة الوحيدة (The Only body) التي تستطيع بمساعدة الروح القدس (The Holy Ghost) أن ترشد المؤمن إلى الرأي الصحيح في مثل هذه الأمور . وبالتالي فإن على الفرد المسيحي – دائماً وأبداً – الإصغاء الكامل إلى ما كل ما تقدمه الكنيسة له من تبريرات وتفسيرات .. وعليه قبولها بلا مناقشة . كما وأن عليه أن يستبعد المنطق تماماً في التفكير في النقد العقلي أو العلمي لما تقدمه الكنيسة له .. تحت دعوى أن الشيطان قد يدخل عليه من خلال هذا العقل أو العلم ليضل

٣٥ الروح القدس : هو الأتوم الثالث من الثالوث القدوس المسيحي : " الآب والابن والروح القدس " .

الفرد بالتبعية ...!!! وهكذا ؛ تضع الكنيسة التعاليم الكافية لإبقاء عقل الفرد المسيحي حبيس داخل الكنيسة .. وإبقاء العقل مدركا فقط للمعاني التي تقدمها له الكنيسة .

وبهذا المعنى ينشأ الفرد المسيحي على عدم الاستقلالية الفكرية في كل ما يتعلق بأمور العقيدة .. والأمور الدينية .. وعليه دائما أن يلجأ إلى الكنيسة ورجل الدين المسيحي لحل مشاكل الكتاب المقدس التي تعترضه . ولهذا تجد الفرد المسيحي يتجنب الحوار دائما في الأمور الدينية مع الآخر المسلم .. بل وغالبا ما يدعي بجهله بدينه (أي بالدين المسيحي) حتى يتجنب هذا الحوار .. بل ويتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عن الدين على الرغم من علمك المسبق بأنه من المواظبين على حضور قداس الاحاد .. ومن المترددين على الكنيسة أيضا وبصفة دائمة ...!!!

ومن أوضح الأمور التي تعبر عن منهاد رفض الحوار .. ورفض المواجهة مع الآخر .. هو ما قدم به البابا شنودة الثالث (بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية) .. في كلمته التي ألقاها في التلفزيون المصري في الجلسة الافتتاحية العامة : " للمؤتمر الإسلامي الثالث عشر .. التجديد في الفكر الإسلامي " ^{٣٦} (حيث كان ضيفا شرفيا في هذا المؤتمر) .. بنصيحة (أو الحكمة) التي قال بها أحد آباء الكنيسة للرجل المسيحي .. أو لرجل الدين المسيحي بصفة خاصة وهي :

[إذا دعيتك الظروف لأن تجلس بين مشايخ المسلمين فعليك أن تنصت ولا تتكلم .. وإذا سألوك فقل لا أعلم] .

وهو فكر أو مبدأ — كما نرى — ينطوي على رفض الحوار والمواجهة .. جملة وتفصيلا ...!!!

وهكذا تصبح هذه التربية المبكرة بمثابة نوع من أنواع : " غسيل المخ : Brain washing " المنظم .. لينشأ الطفل المسيحي على الخوف الشديد — والذي يصل في أحيان كثيرة إلى حد الفرع .. حتى على مستوى المنصرين (أي الذين يقومون بالدعوة المسيحية .. وأحيانا يطلق عليهم لفظ المبشرين) — في تحكيم العقل في القضايا والأمور الدينية الواردة في الكتاب المقدس .

^{٣٦} " المؤتمر العالمي الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية " .. المنعقد في القاهرة في الفترة من ٣١ مايو حتى ٣ يونيو ٢٠٠١ .. تحت عنوان : " التجديد في الفكر الإسلامي " .

وقد رأى الكاتب مواقف الفزع هذه في عيون وحركات المبشرين المسيحيين في أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية .. عندما كان يشير إلى نصوص القرآن المجيد عن بعد . ومثل هذه النشأة الموجهة لم تقتصر على العامة فقط .. بل طالت أيضا رجل الدين نفسه !!! .. بمعنى أن عدم استقلالية الفكر الديني .. تعدت الفرد المسيحي العادي .. لتصل إلى رجل الدين نفسه .. حتى في المناصب العليا . فنجد أن رجل الدين لا يستطيع الإفتاء في أي موضوع من المواضيع العامة البسيطة إلا بعد الرجوع إلى المنصب الأعلى . ويحدث هذا في ندوات تليفزيونية عامة .. تناقش بعض قضايا الرأي العام .

وبعد تمام نضج الطفل .. تأتي علاقة الجموع أو الأتباع (أي المستمعين) بـ رجل الدين المسيحي .. حيث يلخصها لنا الدكتور القس : " إكرام لمعي " (رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيلية بمصر .. ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سابقا) في الاتي ٣٧ :

أن الخطيب هو قوام التعليم الديني (المسيحي) والمستمع هو النتيجة .. وأن الخطيب يسلب المستمع حقه الإنساني في أن يقدم رأيه وفكره .. كما يفقده القدرة على الحوار . ولهذا يخاف الخطيب على المستمع من الحرية الفكرية .. كما يرى أن الوعي الناقد يزلزل الأتباع . ولهذا يصف السلطة الأبوية والتكنيك الخطابي بصفات كثيرة نذكر منها الصفات التالية ..

- الخطيب يعرف كل شيء والمستمع لا يعرف .
- الخطيب يفكر والمستمع لا يفكر .
- الخطيب يختار ويفرض اختياره والمستمع يذعن .
- الخطيب يتصرف والمستمع يعيش في وهم التصرف من خلال عمل الخطيب .

وكما نرى ؛ هي رؤية قاصرة .. لا تنطبق إلا على الفكر المسيحي فقط . وقد حاول السيد الدكتور القس ممارسة هذه البنود معي عند حواراه معي (كما سنرى ذلك لاحقا .. حيث اعتقد سيادته بأنني غير ملم بالديانة المسيحية وكذا التاريخ الإسلامي عند بداية الحوار) ولكنه فشل !!! .. بينما في المقابل نجد أن المستمع المسلم العادي — وأركز على كلمة المستمع المسلم العادي — قد يكون أكثر فقها وعلماء من الخطيب نفسه .. وله الحق كاملا في مناقشة الخطيب فيما يصيب أو يخطئ فيه . فالحرية الفكرية في الدين الإسلامي حتمية تفرضها طبيعة

٣٧ عن " تجديد الخطاب الديني .. وأسئلته .. وإجاباتها " . مقالة .. بجريدة الأهرام في عددها رقم ٢٠٩٥ ؛ الصادر في : ٨ / ٣ / ٢٠٠٢ .

هذا الدين .. وكذا الغايات من خلق الإنسان كما نبهنا إلى هذا المولى (ﷺ) .. وكما سبق وأن بينا .

ولهذا يعترف السيد الدكتور القس إكرام لمعي بحرية الحوار في الدين الإسلامي حين يقول في نفس المقال ..

[ما الذي جعل الرسول (يقصد بهذا محمدا ﷺ) يغير طبيعة الإنسان العربي ليتمكن الإسلام ، بهذا التغيير في أقل من قرن من الزمان أن ينشر ألوته على معظم العالم آنذاك ، لقد تم هذا العمل بمنهج الخطاب الديني الحواري الذي حفل به القرآن . فمنذ اللحظة الأولى التي ظهرت فيها دعوة الإسلام ركز القرآن على أن يجعل المسلمين يتفكرون في الكون ويتدبرون واقعهم من أجل أنفسهم ، أي أنه وجههم لبدء الجدل مع الكون والطبيعة والآخرين وذلك ما ولد في المسلم قناعته تحرير نفسه من رق الجاهلية والانطلاق إلى تغيير العالم .]
(انتهى)

وهو ما يعني أن الإسلام قد ركز على تحرير الفكر البشري من أغلال وقيود الفكر الكنسي . وفي الحقيقة ؛ إن مثل هذه المقالات – أو الفكر عن الدين الإسلامي – تثير استغرابي إلى حد كبير . فهو فكر لا أستطيع معه التمييز بين إيمان الكاتب الخفي بالدين الإسلامي وبالقران المجيد .. وبين التفسير أو التأويل المغرض لآيات القران .

وعقب قراءتي لهذا المقال .. قمت بالاتصال بالسيد الدكتور القس (إكرام لمعي) عن موقف المسيحية من الحوار والتفكير (حيث لم يستشهد في مقالته إلا بالقرآن فقط) .. فكان جوابه في غاية من الغرابة والمراوغة معا .. حين قال لي : " لقد كان هناك حوار .. حتى رفع المسلمون المصاحف على أسنة الرماح " .

وهي حادثة لا علاقة لها – تماما – بالمسيحية أو بالتفكير . فقد حدثت هذه الواقعة عقب مقتل (الخليفة الراشد الثالث) " عثمان بن عفان " .. وبإيع (انتخاب) المسلمون من بعده الخليفة الراشد الرابع " عليّ بن أبي طالب " .. ولكن معاوية بن أبي سفيان – والي الشام في تلك الفترة – رفض خلافة " عليّ " بحجة أن " عليّ " لم يثأر من قتلة عثمان بن عفان . فخرج إليه " عليّ " لمحاربته – عند صفين على نهر الفرات – لتوحيد كلمة المسلمين . وكاد النصر يتحقق للإمام عليّ لولا لجوء عمرو بن العاص .. ومعاوية لخدعة تحكيم القرآن التي

أتاحت لمعاوية الإفلات بجيشه وتدعيم مركزه السياسي والعسكري في مواجهة الإمام عليّ . وقد بدأت هذه الخدعة برفع المصاحف على أسنة الرماح للاحتكام إلى القرآن بدلا من استمرار المسلمين في القتال .

فهذه هي الحادثة التي استشهد بها السيد الدكتور القس . فهي حادثة لا علاقة لها بالمسيحية على الإطلاق .. أو بالحوار بين الإسلام والمسيحية . فالسيد الدكتور القس يعتمد بشكل كبير على جهل السامع - كما سبق وقال هو بهذا - بالدين المسيحي وبالتاريخ ليلوي الحقائق ويخدع المستمع ليصل إلى مراده . وقد تجلت معاني هاتين الآيتين الكريمتين ..

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾
(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٨١ - ٨٢)

بشكل نبؤي غريب .. في أثناء حوار مع السيد الدكتور القس .
وأعرض - هنا - لمثال آخر أجده في كتاب : " الكنائس الكاذبة " والذي يهديه مؤلفه وليد طوغان^{٣٨} إلى :

" بطريرك كرسي مرقس الرسول .. بابا أقباط مصر .. إجلالا وعميق الاحترام "

ثم يصدر الكاتب (وليد طوغان) كتابه - الكنائس الكاذبة - بالاية القرآنية الكريمة التالية ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) ﴾
(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥٢ - ٥٣)

^{٣٨} " الذين كفروا بالمسيح .. الكنائس الكاذبة " ؛ وليد طوغان . دار الخيال .

وهنا لا تستطيع التمييز بين إيمان الكاتب بهذه الآية على النحو الصحيح الذي تشير إليه .. أو جاعلها تشير إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية التي هي وحدها الكنيسة الحق .. وكل ما عداها هي كنائس باطلة أو هي كنائس الشيطان .

فإذا كانت نية الكاتب هو التأويل الأخير .. فإنه يكون قد قطع هذه الآيات عن سياق ما قبلها ..

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَأَلْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسَخُ .. ﴾

(القرآن المجيد : المحج {٢٢} : ٤٩ - ٥١)

إلى اخره من الآيات الكريمة السابقة . وكما نرى ؛ فإن هذه الآيات تشير إلى رسول الله (ﷺ) وإلى الوحي .. وفي محاولة الشيطان للتدخل في هذا الوحي . وهنا لم يتنبه المؤلف إلى أن تأويله للآيات الكريمة على النحو السابق يدخله ضمن طيف المعاني الخاصة بكلمة " معجزين " والتي تشمل توقيف الآيات القرآنية عن معناها الصحيح .. هذا إلى جانب المعاني الأخرى الدارجة لكلمة " معجزين " مثل : مشاقين / مغالبيين / معاندين / مثبطين .. إلى اخره . وهنا يشمل الكاتب معنى قوله تعالى .. ﴿ .. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .. وأتمنى أن يفهم ويعي الكاتب هذا المعنى جيدا .

وحتى إن فهم مؤلف " الكنائس الكاذبة " مثل هذه الآيات الفهم الصحيح وامن بها فقط دون أن يؤمن بباقي القرآن المجيد .. فإن هذا يدرجه ضمن طائفة عريضة من البشر التي يمكن أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض وما ينتهي إليه طبيعة هذا الإيمان إلى خسران الوجود والمصير معا .. كما جاء هذا في قوله تعالى في قرآنه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ .. أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٨٥)

وبهدف تأكيد الرؤية السابقة .. أي : الهروب من مواجهة حقائق المسيحية أسوق مثالا أخير من ضمن أمثلة كثيرة .. وحوارات مبتورة .. عن هذه المعاني التي عايشها الكاتب مع أصدقاء وزملاء عمل وكذا منصرين مسيحيين ورجال دين أيضا . فعقب صدور كتاب (الكاتب) : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " .. جاء لي أحد الأصدقاء المسيحيين — بعد قراءته للكتاب — وهو طبيب وجراح مرموق ومن كبار رجال الأعمال ^{٣٩} أيضا .. وهو متعجب أشد العجب من أن يكون هذا هو دينه !!!..

وسألني باستنكار غريب : هل يمكن أن يكون هذا هو الدين المسيحي الذي نؤمن به ..؟؟!!

ولما أكدت له بأن هذا هو الدين المسيحي بدون مبالغة .. خصوصا وأن كل ما كتبت في هذا الكتاب .. موثق بنصوص مباشرة من الكتاب المقدس وبشرح الكنيسة ذاتها !!!..

فسألني : وماذا عليه أن يفعل ..؟؟!!

ولم تزد إجابتي له عن : ينبغي أن تحتكم إلى عقلك يا دكتور !!!..

ولكنه أجاب بلهجة قاطعة بل وحاسمة أيضا (على الرغم من سنه وعلمه وثقافته) : لا .. ولكن يجب على الكنيسة أن تجد لنا حلا !!!..

وطلب مني عدة نسخ من الكتاب (نظرا لبخله الشديد — من واقع تجربتي الشخصية معه في مجال البيزنيس — رغم أنه من كبار رجال الأعمال .. ومن ممولي الكنيسة أيضا) . وقام بتوزيع هذه النسخ — في أحد جلسات الاحتفال بعيد الميلاد — على كبار رجال الدين المسيحي وكذا على " قسم مقارنة الأديان بكلية اللاهوت بالعباسية " .. ليجدوا له الحل أو الرد على الكتاب المذكور .. كما أراد !!!..

وقد أبلغني الطبيب الجراح المذكور — فيما بعد — بأن هناك من قال له من قسم مقارنة الأديان في كلية اللاهوت بالعباسية : أن هذا الكتاب كاد أن يؤثر على إيمانه بالديانة المسيحية .. فما بال الرجل العادي !!!.. كما وعده أحد قمم الدين (ولا داعي لذكر المنصب الرفيع جدا ..

^{٣٩} الطبيب الجراح هو : الدكتور / رفيق توفيق .. بالمستشفى اليوناني بالعباسية / القاهرة .. وحاليا أحد رجال الأعمال .. بعد أن اعتزل مهنة الطب تقريبا وأصبح من كبار رجال الأعمال في مجال الـ " Business " . ووافق على نشر اسمه عند الإشارة إليه .

منعاً للإجراج !!!..) بأن الكنيسة : سوف تقوم إما بالرد على هذا الكتاب .. وإما أن تقوم بتعديل أو تغيير ما عندها !!!..

فهذا هو ما حدث بالضبط !!!.. وإذا ما أخذنا بظاهر الأمور .. فإن الكنيسة قد لاذت بالصمت تجاه هذا الكتاب – الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان – أي هي لم ترد على الكتاب المذكور .. كما لم تقم بتغيير ما عندها !!!.. ولكن إذا أخذنا بباطن الأمور ؛ فإن الكنيسة قد لجأت إلى الرد غير المباشر .. أو ما يمكن أن يعرف باسم الحوار الخفي وهو ما سوف يراه القارئ في الكتاب الرابع : " الحوار الخفي " من هذه السلسلة . ولم يقصد بهذا الحوار الخفي سوى إيهام جموع شعب الكنيسة فقط بالرد وهو الأمر الذي لا يعني سوى خداع الأتباع !!!..

وأخيراً أشير إلى أن الكنيسة تحذر أتباعها دائماً من قراءة النقد العلمي الخاص بالكتاب المقدس .. بل وتعتبره صورة من صور خداع الشيطان لإضلال شعب الكنيسة . فاستناداً إلى النص المقدس ..

[(٢٢) لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً .]

(الكتاب المقدس : مرقس {١٣} : ٢٢)

يقول الدكتور القس إكرام لمعي ٤٠ :

[إذن المعركة هنا ستكون في مجال الفكر بقيام دعوة تضليل .. يحاول إبليس بها إضلال الأمم في العالم أجمع]

وبهذا المعنى تضمن الكنيسة محاصرة فكر الفرد المسيحي .. وجعله حبيساً دائماً داخل كيانه أو في داخل جسم الكنيسة !!!..

٤٠ - من يحكم التاريخ .. رؤية مسيحية " ؛ الدكتور القس إكرام لمعي (رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيلية بمصر .. ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سابقاً) . دار الثقافة (ص : ١٧٨) . أنظر كذلك الكتاب الرابع من هذه السلسلة : " الحوار الخفي / الدين الإسلامي .. في كليات اللاهوت " لرؤية المسحاء الكذبة .

• ورفض الحوار .. حتى في المجال الأكاديمي ..

وننتقل الآن إلى مثال آخر .. عن تجربة أحد الباحثين الإسلاميين عند قيامه باستكمال رسالة الدكتوراه الخاصة به .. في فرع : " مقارنة الأديان " .. وتجربته مع الكنائس المصرية والتي قام بنشرها فيما بعد في كتاب يحمل عنوان ^{٤١} : " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " . فقد وجد الباحث أن كثيرا من الأمور الخاصة بالفكر المسيحي غائبة عنه لنقص في المراجع المسيحية المتاحة .. وخصوصا التساؤلات الخاصة بفكر عقيدة الصلب والفداء . وهنا كان عليه أن يطرح تساؤلاته هذه — في كتابه المذكور — عن علاقة خطيئة آدم بموت البشر ، فجدده يقول في كتابه المذكور في صفحة ٧٢ :

" والتساؤل الذي نطرحه هنا للنصارى هو : ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر ؟ " ^{٤٢}

ونظرا لنقص المراجع .. فقد كان عليه أن يلجأ إلى الكنائس المسيحية لاستكمال هذا النقص .. حتى يمكنه إنهاء رسالته الجامعية .. إلا أنه لم يلقى أي تعاون علمي أو أكاديمي من الجهات الكنسية في هذا الخصوص .. كما لم يجد حتى أدنى ترحيب به .. وهو ما يناقض أبسط القواعد العلمية الأكاديمية والبحثية !!!..

ومن مقدمة الكتاب المذكور .. نرى أن المؤلف لم يدخر جهدا في البحث عن هذه الحقيقة أينما كانت ، وأينما وجدت عند قيامه بإعداد رسالته هذه ، ولكنه لم يحظ بالإجابات المنشودة عليها بعد دراسته للمؤلفات المسيحية المتاحة . كما كان يحاول جاهدا — في كتابه هذا — استجداء علماء المسيحية للإجابة على هذا السؤال وعلى أسئلة أخرى مشابهة ولكن دون جدوى من أن يسمع أي إجابات منهم . لهذا نجدده يقول في صفحة ٢٠ من كتابه المذكور :

[... ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية الذي يمثل طائفة الأرثوذكس ، فذهبت إلى مدير معهد الدومينيكان للدراسات الشرقية الأب جورج

^{٤١} " اليوم الآخر .. بين اليهودية والمسيحية والإسلام " ؛ د. فرج عبد الباري أبو عطا الله ، وتقديم الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل . والكتاب إصدار دار الوفاء : الطبعة الثانية : ١٩٩٢ .

^{٤٢} مثل هذه الأسئلة .. وأسئلة أخرى مثارة يجد الفارئ الإجابة عليها في مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ؛ يطلب من مكتبة وهبة .

شحاته قنواي^{٤٣} ، لأعرف رأى الكاثوليك في بعض النقاط المثارة في البحث ، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل ، بل وصرفني عن البحث في علم مقارنة الأديان ، وأحالني إلى أحد الرهبان الفرنسيين في المعهد وكانت اللغة عائقا دون حديث الراهب معي ..

وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقا لي في مواصلة البحث وسبر غور كثير من النقاط المثارة في البحث في مجال المقارنة ، فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب سيناء - وهو دير تاريخي قرأت أنه يحوى الكثير من المراجع والمخطوطات - فذهبت بخطاب من الكلية ولكن رفض القائمون على الدير والمكتبة أى عون علمي فيما يتعلق بالبحث ، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معي شفويا في موضوع الآخرة في التصور النصراني ، وقفلت راجعا أبحث عن مصادر اليوم الآخر في مظانه عند النصارى واليهود ، وبذلت قصارى جهدي في هذا الصدد . وأسجل أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقا لي عن البحث في كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبي ذلك [٤٤]

وسلوك الدير هذا - في عدم تعاونه العلمي مع الباحث الإسلامي - ليس بمستغرب فكما سبق وأن ذكرت .. فإن قداسة البابا شنودة الثالث نفسه .. (بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية) .. قد أقر رفض الحوار في كلمته التي ألقاها في التلفزيون .. في الجلسة الافتتاحية العامة : " للمؤتمر الإسلامي الثالث عشر .. التجديد في الفكر الإسلامي " .

^{٤٣} الرهبنة الدومينيكانية ؛ وهي الرهبنة التي أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ ، ويلقب المنخرطون فيها باسم " الأخوة الوعاظ " . وقد بدأت نشاطها أول ما بدأت في مدينة تولوز بفرنسا ، وهي أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية . وقد تميز الدومينيكانيون الألوان بثقافة تخطت اللاهوت ، وإلى محاولة للتوفيق بين اللاهوت والفلسفة . ولكن كانت دعوتهم تتميز بالتعصب الديني ، حيث قاموا بدور إيجابي في تشكيل أعضاء محاكم التفتيش .. وهي المحاكم التي قضت بإعدام وسجن وتعذيب المخالفين لرأي الكنيسة .

وعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، اعتصم القساوسة الدومينيكان بديرهم في مدريد ، وعندما اقتحمه نابليون عنوة أنكر القساوسة الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب . ولكن عند البحث والتفتيش وجدها جنود نابليون تحت الأرض .. ممتدة لمسافات كبيرة تحت الدير .. وكلها مليئة بالمساجين .. وكلهم عرايا وكثير منهم معنوه من آثار التعذيب . ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برفقة الشعور إلا أن هذا المنظر قد أثار شعور جنودها ، فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله . فهذه هي مسيحية المحبة !!!

^{٤٤} سبق مناقشة : " موضوع الآخرة في التصور النصراني " .. في مرجع الكاتب السابق : " البعد الديني .. في الصراع العربي الإسرائيلي " ؛ مكتبة وهبة . وسوف نرى هنا - باختصار - جانب من هذا التصور .

وبديهي ؛ رفض الحوار لا يعني سوى علم أهل العقيدة — يقينا — ليس بضعف الحجة المسيحية فحسب .. بل علم أهل العقيدة بخرافة وأسطورة هذه الديانة أيضا ...!!! وبهذا المعنى ينطبق عليهم قول المولى عز وجل في قرانه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٧٠)

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

[أولو كان : حتى لو كان]

والان ؛ لا يبقى لنا سوى تعميم ما سبق عرضه لا ليشمل الكنيسة الأرثوذكسية فحسب .. بل ليشمل باقي الكنائس أيضا . ومثل هذا التعميم لا يأتي من فراغ أو من واقع نظري .. بل يأتي من واقع خبرة الكاتب في أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية .. ومن ضمنها : الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية .. وكنيسة " شهود يهوه " .. والكنيسة المارونية .. وغيرها من الكنائس الأخرى ...!!!

ففي الواقع ؛ أن جميع الكنائس — بما في ذلك الكنيسة الرومانية الكاثوليكية — ترفض الحوار على نحو قاطع .. حتى وإن تظاهروا بقبول الحوار — وهو ما يمارسه الفاتيكان الآن مع الأزهر الشريف — فإنهم يقصرون الحوار على " السلام " فقط . وهو منظور يحوي في جنباته كثيرا من الخداع والتضليل .. على الرغم مما يتسم به ظاهره من مفهوم حضاري ...!!!

الفصل الرابع

موقف الإنسان من الحقيقة المطلقة ..

من أهم الأمور التي تؤخر اعتقاد البشرية — حتى الآن — في وجود دين واحد بدلا من الاعتقاد في أديان متعددة هو : عدم وضوح معنى الدين (على النحو السابق شرحه في الفصل الأول) .. وعدم وضوح معنى الحقيقة المطلقة . ففي الواقع ؛ يكاد يكون هناك اتفاق ضمني وتام بين معظم اتباع الديانات المختلفة .. أن كل دين يملك جزءا من الحقيقة وليست كل الحقيقة . وهي رؤية يتبناها على وجه الخصوص علماء اللاهوت في الديانة المسيحية . ولبيان هذا المعنى سوف نعرض — هنا — إلى مثالين فقط من آراء علماء العقيدة في الديانة المسيحية . ونبدأ بمنظور الدكتور القس : " إكرام لمعي " .. الذي يعرض مفهومه عن الحق بقوله ٤٥ ..

[ينبغي إعادة تفسير مفهوم الحق .. فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا . لكن الحقيقة أننا لا نمتلك الحق ولكن هو الذي يمتلكنا ، ونحن نعبر عن ما نفهمه من الحق . فالحق المطلق أكبر وأعظم من كل المفاهيم البشرية والتفسيرات الإنسانية . وإن كان كل دين كامل فعليه ألا يسلب حق الآخر في أن يردد نفس المفهوم . فكل جماعة تؤمن أنها تمتلك الحق لكن هذا لا يدعونا أن نفرض ما نملكه على الآخرين ، لكن نقبل الآخر على المستوى الإنساني]

(انتهى)

وبديهي ؛ كما نرى من هذا السياق أن الدكتور القس لم يقصد بالحق سوى الدين .. وإلا لما قلل (فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا ..) . ولكن عندما اتصلت بالسيد الدكتور القس إكرام لمعي وسألته : ماذا يقصد بالحق .. وهل انتهى إلى تعريف له ؟! فكانت إجابته أنه لم يقصد بالحق سوى : " الله " سبحانه وتعالى ..

٤٥ مقالة : " عن .. تجديد الخطاب الديني .. وأسئلته .. وإجاباتها " . جريدة الأهرام في عددها رقم ٢٠٩٥ ؛ الصادر في : ٨ مارس ٢٠٠٢ .

ولم يقصد به الدين .. وبهذا تناقض الدكتور القس مع مقالته (.. فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملاً ..) .. فنحن - بداهة - لا نمتلك الله (ﷻ) !!!.. وبهذا لم يقصد الدكتور القس بهذه الإجابة سوى الهروب من المواجهة .. وعدم فتح باب الحوار معي !!!..

أما الأنبا يوحنا قلته ^{٤٦} (المعاون البطريركي للأقباط البطريرك) .. فهو ينفي قدرة الإنسان على امتلاك الحق .. حيث يقول نيافته :

[ليس في إمكان أي إنسان أن يمتلك الحق المطلق ..] . وهو بذلك يعني " غياب الحق المطلق من القضية الدينية " .

وكما نرى ؛ فإن كلا من الرويتين قد ألفت بتعريف الحق (أو الحقيقة المطلقة) على عاتق الفكر الإنساني .. وليس على عاتق الفكر الإلهي صاحب هذا الحق . تماما ؛ كما سبق وأن ألفت المسيحية بتعريف الدين على عاتق الفكر الإنساني وليس على الفكر الإلهي صاحب الدين .

وقد سبق وأن بينت في كتابات سابقة بأننا جميعا نتفق على أن : " الدين مصدره الله (ﷻ) وليس مصدره الإنسان " . وبهذا المعنى تصبح " الحقيقة المطلقة " هي ملكية خالصة لله (ﷻ) الخالق المطلق لهذا الوجود وليس ملكية للإنسان . وبديهي ؛ أن هذه " الحقيقة المطلقة " يعلنها المولى (ﷻ) لعباده على لسان أنبيائه ورسله ليأخذوا بها . وبناء على هذا ؛ فإن نفي وجود الحقيقة المطلقة .. إنما تعني واحدا من ثلاثة احتمالات أو كلها :

- نفي لقدرة الله (ﷻ) على ملكية الحقيقة المطلقة .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) - في حالة ملكيته لها - على توصيلها لعباده .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) - في حالة ملكيته لها وقام بإعلانها ولم يفهمها الإنسان - على خلق إنسان لا يستطيع استيعاب معنى الحقيقة المطلقة .

^{٤٦} مقالة : " الحوار الديني .. أسى حوار " ؛ نيافة الأنبا يوحنا قلته (المعاون البطريركي للأقباط البطريرك) جريدة : " عقيدتي " .. في عددها رقم ٤٣٣ ؛ الصادر في ١٣ مارس ٢٠٠١ .

وجميع هذه الاحتمالات تؤدي إلى معنى نقص القدرة .. أو النقص في الكمالات الإلهية .. وهو فكر مرفوض تماما .. فحاشا لله أن يتصف بمثل هذا النقص في كمالاته الإلهية ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : الروم (٣٠) : ٢٧)

وفي قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الانفطار (٨٢) : ٦ - ٨)

[ما غرك : أي أخذك الغرور حتى تعصى الله سبحانه وتعالى]

وهكذا ؛ لا يمكن أن ننكر أو نتنكر لوجود الحقيقة المطلقة وإمكانية امتلاكنا لها .. لارتباط معناها وملكيته بالفكر الإلهي وقدرته على توصيلها للإنسان مخلوقه . ومن منظور الدين الإسلامي : " فإن الوصول إلى الحقيقة المطلقة هو غاية الغايات من خلق الإنسان " .. وهو ما يقابل : " الإيمان العاقل .. أو الإيمان المبني على العقل يدعمه في هذا المنطق العلمي والرياضي السائد في النظريات العلمية والرياضية المعاصرة " . ومن هذا المنظور - أيضا - قام الدين الإسلامي بنقل القضية الدينية بكاملها من الحيز النسبي إلى الحيز المطلق .. ومن حيز الاعتقاد إلى حيز البرهان .. أي إلى حيز القضايا العلمية الراسخة .. كما قام بتوحيد النظرة إلى الدين باعتباره ديناً واحداً صدر عن خالق مطلق واحد .. كما جاء في قوله تعالى في قرآنه المجيد ..

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣)

ونعود مرة أخرى إلى كلمة : " الحق " .. فقد ورد ذكر هذه الكلمة (٢٢٧) مرة في القرآن المجيد بشكل مباشر .. حيث تأتي بمعان متعددة . وبديهي ؛ لن نذكر كل ما ورد حول هذه الكلمة من معان .. ولكن نكتفي — هنا — بذكر بعضها .. منها : (١) اسم من أسماء الله الحسنی .. أي أحد الصفات التي يتصف بها الله .. أي الحق سبحانه وتعالى . (٢) كما تأتي بمعنى الدين الإسلامي .. (٣) كما تأتي بمعنى القانون الطبيعي أو الفيزيائي .

ونبدأ هذه المعاني بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٠ - ١٧١)

وكما نرى فإن ما جاء به الرسول (ﷺ) هو الحق من الله (ﷻ) . كما وأن السيد المسيح هو ﴿ .. رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ... ﴾ ومعنى : " وكلمته " .. أنه خلقه بالقدرة المباشرة أي بكلمة : " كن فيكون " أي أصبح واقع بمجرد أن وجد في الوعي الإلهي ..

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) ﴾

(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٨٢)

ولا تخصيصية هنا في معنى ﴿ .. وَرُوحٌ مِنْهُ .. ﴾ سوى التأكيد على بشرية السيد المسيح على الرغم من خلقه هكذا بدون أب .. شأنه في هذا مثل شأن جميع البشر ..

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ - ٧٢)

إذن طبيعة خلق البشر هي من نفخة من روح الله (ﷻ) ٤٧ . وتتأكد بشرية المسيح بشكل مباشر في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) ﴾

(القرآن المجيد : ال عمران {٣} : ٥٩)

وتتفق المدرسة (المسيحية) التحررية مع الفكر الإسلامي في كون السيد المسيح رسولا وليس إلها ٤٨ . وترى هذه المدرسة أن يسوع كان إنسانا متميزا بالمثل العليا .. وأن إصاق الألوهية به جاء نتيجة لمؤثرات خارجية يرجع أصلها إلى الديانة الهيلينية . كما أضافت المدرسة (ريماروس) أن يسوع لم يكن سوى شخص يهودي يميل إلى التحرر ولم يكن يعرف شيئا من التعاليم التي قام تابعوه بترويجها عليه فيما بعد .

ونعود لمعنى الحق مرة أخرى .. فنجد المولى (ﷻ) يصف القرآن المجيد بأنه الحق الصادر عنه (ﷻ) ولا علاقة لمحمد (ﷺ) بهذا الحق .. سوى البلاغ ..

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٥)

كما يقرن معرفة هذا الحق بالعلم .. حيث لا يدرك هذا الحق ولا يؤمن به سوى العلماء ..

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْثَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَنَاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥٤ - ٥٧)

[مريّة : شك / عقيم : أي يوم لا ليلة له]

٤٧ بينما - في المقابل - يقول التلمود : أن أرواح اليهود فقط هي جزء من الله .. بينما أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات . أنظر تذييل رقم ١٤ السابق .

٤٨ " المسيح والنقد التاريخي " ؛ القس أندريه زكي . دار الثقافة . صفحات : ١٢ ، ١٤ ، ١٧ .

وهنا نرى ؛ أن الخالق المطلق لهذا الوجود يقطع بجهل كل من لا يؤمن بهذا الحق .. وليس في هذا تجني على الإنسان الملحد أو ذي الديانة الوثنية .. لأن الفكر الديني في الدين الإسلامي .. يأتي دائما مقترنا بالعلم والقوانين الطبيعية .. لهذا يأتي : " الحق " في الفكر القرآني أيضا بمعنى القانون الفيزيائي .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْحَمِيلَ ﴾ (٨٥)

(القرآن المجيد : الحجر {١٥} : ٨٥)

ثم يأتي الوعد الحق للناس أجمعين .. في قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٥ - ٦)

ثم يأتي موقف الإنسان من هذا الحق (أي الدين الإسلامي) في قوله تعالى ..

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾

(القرآن المجيد : الزخرف {٤٣} : ٧٨)

حيث يبين الآية الكريمة أن أكثر الناس يكرهون هذا الحق ...!!!

وأكتفي بهذه الايات التي يمكن أن توجز مفهوم الحق .. ووجود الحقيقة المطلقة من المنظور الإسلامي .. بينما في المقابل نجد أن الديانتين اليهودية والمسيحية لا تعترفان بوجود هذا " الحق " . وبديهي ؛ هذا ليس بمستغرب لطبيعة الأساطير والخرافات الواردة في النصوص المقدسة .. كما سنرى في الباب الثاني من هذا الكتاب ...!!!

الفصل الخامس

الميلاد الثاني

والإله في الديانة " اليهودية / المسيحية "

حين انتخب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (١٩٧٧ - ١٩٨١) رئيسا للولايات المتحدة وصف نفسه بأنه : " مسيحي مولود الولادة الثانية " .. والمتتبع لشراح العقيدة المسيحية .. يجد أن الميلاد الثاني .. لم يزد معناه عن دخول الفرد المسيحي في الحياة الروحية حتى يكون له الحق في دخول ملكوت السماء (تماما .. كما يعني الميلاد الأول من أب وأم بشريين في دخول الفرد الحياة الدنيا) ^{٤٩} . وتبين لنا الكنيسة أن دخول الفرد في السماء بالميلاد الثاني يستلزم أن يكون الله أباه والكنيسة أمه . ويتدرج ارتقاء الفرد الروحي بالميلاد الثاني في الفكر المسيحي على النحو التالي ..

الولادة الثانية ← الإيمان ← التبرير ← التقديس ← التمجيد

فكما نرى ؛ فإن الولادة الثانية ^{٥٠} .. هي بداية الحياة الروحية للفرد المسيحي .. وتترقى إلى الإيمان المبني على التبرير (أي تبرير نصوص الكتاب المقدس الأسطورية حتى يمكن قبولها والإيمان بها) وليس الترقى بالإيمان المبني على العقل (أي : الإيمان العاقل) . وينتهي الفرد من هذا الترقى إلى تقديس الإله (أي عيسى) .. ثم إلى تمجيده . وهو ما يعني أن يصل إيمان الفرد إلى إدراك وجود هذه الحضرة الإلهية أي إدراك وجود الله (ﷻ) .

^{٤٩} " السماء " ؛ مثلث الرحمات نيافة : الأنبا يوانس . الطبعة الخامسة . رقم الإيداع : ٣٠٣٦ / ١٩٧٨ . ص : ١٨٧ .

^{٥٠} " حقائق وأساسيات .. الإيمان المسيحي " ؛ ر.ك. سبرول . ترجمة : نكلس نسيم سلامة . مكتبة المنار . ص : ١٩٣ / ١٩٥ .

ولكن .. ما هو هذا الإله !!!؟..

والآن : هل الديانة المسيحية .. تسمح بتدخل العقل للإجابة على هذا السؤال !!!؟.. أو بمعنى أدق : هل المسيحية واليهودية تسمح بربط (أو مقارنة) الفكر الإلهي كما يصفونه بشكل مطلق .. بما جاء وصفه في الكتاب المقدس !!!؟.. والإجابة على هذا السؤال هو : بالقطع لا ... !!! فالمسيحية لا تسمح بمثل هذا الربط أو المقابلة إطلاقا . كما لا تسمح أيضا بتدخل العقل – على وجه مطلق – للإجابة على مثل هذا السؤال .. وعلى الأسئلة المشابهة ... !!! فالفرد المسيحي (أو اليهودي) عندما يتكلم عن الله (ﷻ) بشكل مطلق .. فإنه يسبغ على هذه الذات ما ينبغي أن تكون عليه من صفات الكمال الإلهي .. فإذا ذهبنا لرؤية هذه الصفات في الكتاب المقدس فلن نجد سوى صفات وثنية وتمدنية إلى حد بعيد .. تهبط بالإله من عليائه إلى حضيض الوحل .. الذي يصل إلى جعل " الإله " أحد الحيوانات الأسطورية .. أو الخرافية ... !!! وهنا يصبح الفرد المسيحي أو اليهودي .. أمام خيارين لا ثالث لهما :

- إما : " اللجوء إلى التبرير لقبول الإيمان بمثل هذه الصورة الخرافية للإله " .
- أو .. " الكفر بالعقيدة كلها .. وهو ما يعني إنكار وجود الإله " .

وسوف نذهب مباشرة – كما سنرى ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب – لرؤية مثل هذه الصفات عند قيامنا بمحاولة الرد على السؤال السابق عن ماهية هذا الإله من منظور الأدبيلن الثلاثة المتحاوره ..

١ . فهل " الإله " هو ذلك الوثن – أو الصنم – الحجري المائل أمامه الشخص (تماثيل المعابد في جميع الأديان – مثل الصليب .. المسيح .. العذراء .. إلى آخره – عدا الدين الإسلامي) !!!؟..

٢ . أم أن " الإله " هو ذلك الكائن الضعيف الذي اشتبك معه الإنسان في معركة بالأيدي والأرجل .. وهزمه الإنسان شر هزيمة .. بل وأسره الإنسان أيضا .. ولم يطلق سراحه إلا بشروط قد فرضها عليه وقبلها الإله تحت ضغط الحاجة والعجز (الفكر اليهودي والمسيحي معا في العهد القديم وهي المعركة التي حدثت بين يعقوب والإله) !!!؟..

٣. أم أن " الإله " .. هو ذلك الكائن العجيب .. قليل العلم .. ضعيف الذكاء .. الذي يدرس مع الشيطان كل ليلة .. في التلمود اليهودي الذي خطه وكتبه حكماء اليهود .. ويبيكي ويولول أثناء النهار .. ويلعن قدره .. ثم يذهب ليلعب مع الحوت بعد أن يفرغ من عمله في تصريف شئون الخلق (الفكر اليهودي) !!!..

٤. أم أن " الإله " .. هو ذلك الشخص - أو الكائن - الذي أوسع الإنسان ضرباً وركلاً وبصفاً وجلداً .. ثم قتله الإنسان على الصليب (الفكر المسيحي) !!!..

٥. أم أن " الإله " .. هو ذلك الخروف العجيب المشوه .. ذلك الخروف المذبوح الذي ينزف دماً .. ذو القرون السبعة .. والعيون السبعة (الفكر المسيحي) !!!..

٦. أم أن : هذا " الإله " ..

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ - ٢٤)

[السماوات : في الفكر القرآني تعني .. الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة .. بمفهوم أعم وأشمل مما جلعت به النظرية النسبية العامة (انظر الكتاب الثاني من هذه السلسلة)]

وهو ..

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. (٢٥٥) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

فهو .. الله ..

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١١)

[فاطر السماوات والأرض : خالقهما ومبدعهما وما بينهما / السماوات : كما سبق الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة / يذروكم فيه : أي يخلقكم .. خلقا من بعد خلق .. وجيلا من بعد جيل .. ونسلا بعد نسل]

وهو ..

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الإخلاص {١١٢} : ٢ - ٤)

والصمد : هو الأبدي ، اللا متغير ، وهو المقصود في الحوائج على الدوام المتفرد في الكمالات والوحدانية ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ .. وليس له مكافئ أو معادي . وهو ..

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٨)

ونكتفي بهذا القدر . ويمكن للقارئ رؤية أسماء الإله في الفكر المسيحي .. في الملحق الثاني من هذا الكتاب .

وبديهي ؛ بعد هذا العرض السابق .. لا يوجد عاقل واحد في هذه الدنيا — يملك الحد الأدنى من الذكاء البشري .. والذي يتجاوز ذكاء القرد كما نعلم ..!!! — لا يمكنه تحديد الخيار الصحيح من بين الخيارات الستة السابقة . فكيف يمكن أن يكون الخالق المطلق لهذا الوجود أي لهذا الكون اللانهائي .. والأكوان الموازية اللانهائية .. بمن فيها .. وما فيها من قوانين فيزيائية .. ومخلوقات .. على هذه الشاكلة الوثنية الذي جاء عليها — الإله — في الخيارات الخمس الأولى ..!!!

وهكذا ؛ فإن تحديد الخيار الصحيح — من بين الخيارات السابقة — هو موضوع لا يحتاج من الإنسان إلى مجهود فكري يذكر .. خصوصا إذا ما أخذنا بقليل من العقل (وليس كثير منه) في الاعتبار . وربما كان هذا هو الهدف الأساسي من هذا الكتاب . فلم أقصد بالحوار في هذا الكتاب سوى مخاطبة الآخر اليهودي والمسيحي . الآخر اليهودي والمسيحي .. الذي يريد

حوارا حقيقيا .. وليس كذبا وخداعا وتدليسا فحسب .. والوصول بهذا الحوار وبالقارئ إلى الحقيقة المطلقة .. التي ترقى كثيرا عن النظريات العلمية المرموقة ...!!! والتي مازال — بكل أسف — الآخر اليهودي والمسيحي معا .. يحاول التكرار لها .. والتهرب من مواجهتها ...!!!

ولهذا ينبه المولى (ﷺ) إلى أن القضية الدينية .. ومسألة الإيمان لأبد وأن يلعب العقل والعلم فيها الدور الرئيسي .. حيث يأتي هذا المعنى في الدين الإسلامي في غاية من الوضوح .. في قوله تعالى ..

﴿ ... إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

وهو ما يعني ضرورة انتباه الفرد إلى العقل في القضية الدينية . كما لا يجوز الاستناد إلى الإيمان في غياب العلم .. حيث لا يجوز أن يقول الإنسان ..

﴿ .. حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١٠٤)

لأنها غايات من خلق الإنسان ينبغي عليه تحقيقها . وأرجو أن يفرق القارئ بين الصياغتين السابقتين . حيث تمثل الصياغة الأولى الاعتماد على العقل .. والصياغة الثانية الاعتماد على العلم .

• المعجزة .. وأسرار الكنيسة السبعة ..

قبل البدء في عرض دور " المعجزة " ^{٥١} في (استكمال) إيمان شعب الكنيسة بالعقيدة المسيحية .. أرى من المفيد أولا عرض أسرار الكنيسة السبعة لبيان أين تقع المعجزة — مادة

^{٥١} استخدم لفظ " المعجزة " في هذه الفقرة للدلالة على " خارق الأعمال " فقط .. ولم يقصد بها المعنى الحقيقي لها .. أي المعجزة التي تجري على أيدي الأنبياء والرسل .

هذه الفقرة — من أسرار الكنيسة السبعة .. حيث يمكن تلخيص أسرار الكنيسة السبعة على النحو التالي ٥٢ :

- (١) المعمودية : لكي ينال الفرد البنوة السرية والولادة الجديدة .
- (٢) الميرون : أي الروح القدس يقدر ويثبت الإنسان في المسيح .
- (٣) التوبة : الروح القدس يغفر الخطايا باستحقاقات دم المسيح .
- (٤) الأفخارستيا : الروح القدس يحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح (عمانوئيل) السري .. أي أن الفرد يأكل جسد المسيح ويشرب دمه .
- (٥) مسحة المرضى : الروح القدس يعطي شفاء جسدي وروحي .
- (٦) الزيجة : الروح القدس يوحد بين الرجل والمرأة في جسد واحد .
- (٧) الكهنوت : الروح القدس سلطان لإنسان بوضع اليد . أي مقدرة الكهنة على الشفاء بوضع اليد .

ثم ننتقل بعد ذلك إلى مادة هذه الفقرة .. وهي استكمال إيمان الفرد في الديانات الوثنية بالاستناد إلى بعض خارق الأعمال التي يمكن أن تجري على أيدي بعض الكهنة ورجال الدين مثل : معجزات الشفاء .. وإخراج الشياطين .. وخلافه . ومثل هذا الفعل يندرج تحت سرين (هما : مسحة المرضى والكهنوت) من أسرار الكنيسة السبعة . وقد سبق مناقشة هذا النقطة في كتابات الكاتب السابقة ٥٣ .. لكنني سأكتفي هنا بذكر رفض السيد المسيح — تماما — لمثل هذه الظواهر .. كما رفض الاعتماد عليها كمبرر لقبول الإيمان بالعقيدة المسيحية .. حيث يأتي هذا المعنى في النص المقدس التالي ..

[(٢٢) كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم (أي يوم الدينونة أو الحساب) يا رب يا رب ليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . (٢٣) فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم]
(الكتاب المقدس : متى {٧} : ٢٢ - ٢٣)

٥٢ "صاحبة الأسرار" : مدحت عبد المسيح / مطبعة دير البرموس . يطلب من جميع المكتبات الأرثوذكسية .

٥٣ الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " : نفس المؤلف . مكتبة وهبة . تحت بند : الدين والباراسيكولوجي .

[.. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم] .. هكذا يقول لهم السيد المسيح .. على الرغم من المعجزات الكثيرة والتنبؤات التي تمت باسمه ...!!! أي لا قيمة للمعجزات التي تجري على يد رجل الدين لأنها في حقيقة أمرها إثم يجري على يديه .. بل ويرفضه السيد المسيح تماما . وحول معنى هذه الفقرات يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص : ١٨٩٣) :

[٧ : ٢١ - ٢٣] كشف الرب يسوع الناس الذين يبدون بكلامهم متدينين ، ولكن ليس لهم علاقة شخصية به . فالأمر المهم في يوم الدينونة ، إنما هو علاقتنا بالمسيح ، قبولنا له مخلصا ، وطاعتنا له . ويظن كثيرون من الناس أنهم متى كانوا صالحين في نظر الناس ، ويبدون متدينين ، فإنهم سيكافأون بحياة أبدية ، بينما في الواقع ، لن يجدي عند الدينونة شيء سوى الإيمان بالمسيح . [

(انتهى)

وكما نرى ؛ فالأمر لا يحتاج منا إلى تعليق .. حيث لا يوجد علاقة بين هذا التفسير وبين النص الإنجيلي . حيث يؤكد النص الإنجيلي السابق أن فاعل هذه القوة لا يؤمن بالمسيح فحسب .. بل يتحدث باسمه .. ويفعل هذه القوى باسمه أيضا .. أي أن رجل الدين يتمتع بإيمان راسخ مبني على رؤية مادية مباشرة . ولكنه إيمان مبني على فكر " ألوهية المسيح " ...!!! ومثل هذا الإيمان .. هو " إيمان شرك " مع الله سبحانه وتعالى .. ولهذا فهو إيمان يؤدي إلى هلاك رجل الدين نفسه .. لهذا يقول لهم المسيح : [.. أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم] .

وليس لرجل الدين المسيحي خصوصية في مثل هذه الأفعال .. ففكر المعجزات معروف تماما لدى الصوفية في الفكر الإسلامي أيضا .. ويعرف باسم : " الكرامات " . وقد تحدث الكرامات لدى الصوفي بشكل أعلى من حدوثها في الأديان الأخرى .. ولكن تدرجها الصوفية تحت بند : " الاستدراج " . أي أن هذه الكرامات تعتبر نوعا من الفتنة التي يمكن أن تؤدي أو تقود صاحبها إلى الكفر .. أو التهلكة . ولهذا يحرص الصوفي في أحيان كثيرة على إخفائها ولا يصرح بها إلا لمن يراها صدفة . ويتجلى هذا الفكر جيدا عندما سأل سليمان (عليه السلام) الجن أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ قبل أن يأتوا إليه مسلمين ..

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ ٥٤ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : النمل {٢٧} : ٤٠)

فإذا قال سليمان (عليه السلام) عقب حدوث هذه المعجزة له : ﴿ .. هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ٥٥ .. ﴾ !!!؟ فإنه لا يعني سوى أن المعجزة التي تجري على يد النبي إنما هي ابتلاء أو اختبار من الله (عز وجل) قد تؤدي بالنبي إلى الحيرة والكفر (بالنعمة) .. فما بال الحال بالإنسان العادي ..

وبناء على ذلك ؛ فإن ربط الإيمان المسيحي (أو الإيمان بأي عقيدة أخرى على وجه العموم) بتحقيق خارق الأعمال على يد رجال الدين هو في — حقيقة الأمر — ربط زائف .. وإلا لما قال لهم السيد المسيح .. [.. أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم] . فلا بد من التنبيه من أن القضية الدينية هي قضية علمية أولاً وأخيراً .. كما ولا بد وأن يكون الإيمان " إيمان عاقل " .. وإلا ما ركب العقل في الإنسان على هذا النحو المنطقي .

والغريب كل الغريبة أن يصل تأثير الكنيسة على شعبها إلى حد جعلهم الاعتقاد في قداسة رجل الدين حتى بعد وفاته .. حيث يتم " تجليس " رجل الدين عقب وفاته على كرسيه .. بكامل ملابسه الكهنوتية .. ليمر عليه الشعب لينال البركة من جثته !!!..

ويقول البابا شنودة الثالث (بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية) عن هذا التجليس :

٥٤ يقام البرهان على وجود " عالم الجن وعالم الملائكة " كنتيجة طبيعية للبرهان على صحة القرآن المجيد .. وهو ما نقضي به مفهوم : " المسلمة العلمية " .

٥٥ تمثل هذه الصياغة القرآنية فكراً رياضياً في الدوال غير المتصلة . حيث نجد في هذه الدوال : أن أدنى تغير في الانفعال (The Argument) يمكن أن يقلب قيم الدالة من الموجب إلى السالب (أي الانتقال من الشكر أو فمة الإيمان .. إلى الكفر) .

[هي فرصة يعطونها للناس لكي يودعوا البابا ويتبركوا منه قبل دفنه فيجلسوه على كرسي ، ولو أن البعض يرون أن هذا منظر مؤثر وصعب .. لكن القصد الأول أن يودعه الناس ويأخذون بركته قبل أن يدفن] ^{٥٦} ...!!!

ليتحقق فيهم قوله تعالى ..

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾
(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ٣١)

^{٥٦} " البابا شنودة وتاريخ الكنيسة القبطية " ؛ محمود فوزي . دار النشر هاتيه (ص : ٨٧) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٥ - ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ